محمد مصطفى العمراني

الطبعة الثانية

نَحْنُ وَالْحَمير

مجموعة قصصية

في المنعطف الخطير

دار البسمة للنشر

نحن والحمير في المنعطف الخطير

اسم الكتاب: نحن والحمير في المنعطف الخطير

اسم الكاتب: محمد مصطفى العمراني

نوع العمل: قصص

الرقم الدولي EBIN: 16-1-221-230316

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الثانية: 2023م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

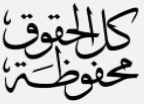

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

نحن والحمير
في المنعطف الخطير

قصص

محمد مصطفى العمراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الإنسانة التي أحبتني كل هذا الحب، وما تزال نهر الحب والعطاء المتدفق في حياتي: أمي.

وإلى زوجتي أم ليث، وإلى الأحباب: مارينا وليث.. أهدي إليكم جميعًا هذه المجموعة القصصية.

مقدمة

النجاح الذي حققته هذه المجموعة القصصية في إصدارها الأول أذهلني، لقد فاق كل توقعاتي، نشرت في عشرات المواقع والصحف والمجلات اليمنية والعربية، وتحدثت عنها العديد من الفضائيات العربية، كما نسعى لأن تترجم للإنجليزية والتركية والفرنسية قريبا بإذن الله.

هذا النجاح ربما للإسقاطات والدلالات التي تحملها قصة "نحن والحمير في المنعطف الخطير"، والتي كتبتها عن قصة حقيقية وبكل عفوية وصدق وإيجاز فحققت كل هذا النجاح والتأثير.

القصة أخطر من المقال ألف مرة في دلالاتها واسقاطاتها وخلودها فالمقال ينتهي بعد أيام وأسابيع ولكن القصة خالدة تقرأ في كل زمان

ومكان ولغة فيشعر القارئ بالمتعة وتتسلل إلى ذهنه الرسالة التي بذرها الكاتب في القصة وبكل سلاسة وتلقائية.

هذا النجاح الكبير لهذه المجموعة القصصية جعلني أتمنى أن تصدر بطبعة جديدة، طبعة ورقية وألكترونية ولكن لأن الطباعة الورقية في اليمن وغير اليمن صارت صعبة على أمثالي رغم أن اسمي قد بدأ يتردد في سوق النشر الورقي فقد صدر لي كتاب وثلاث مجموعات قصصية، وبهذا تكون لي –مع الإصدارات الألكترونية الpdf ثمان مجموعات قصصية، ولدي المجموعة الجديدة، التاسعة، قد كتبت منها أربع قصص..

الشكر كل الشكر لدار بسمة للنشر الألكتروني التي أقترح مديرها الأستاذ سمير بن الضو إصدار طبعة جديدة من هذه المجموعة وهانذا ألبي رغبته وأتجاوب مع مقترحه الكريم وأضع بين يدي القراء الطبعة الجديدة من هذه المجموعة والتي أضفت إليها عدة قصص.

محمد مصطفى العمراني

نحن والحمير

قم شرق..

كنت أسمع هذه الكلمة ويطير نومي وأصحو مذعورا لأني أعلم ما بعدها؛ فمن المؤكد أن أمي ستقوم بدلق سطل الماء البارد علي في الفراش لتبللني وثيابي في هذا البرد القارس.

أتناول إفطاري على عجل بينما ينتظرني الحمار لنمضي نحو الكابوس المقرر علي المرور به ثلاث مرات يوميا، مرة في الصباح بعد الإفطار، ومرة بعد الغداء، ومرة أخيرة قبيل المغرب.

وبالنسبة لي فجلب مياه الشرب من الجبل أفضل من رعي الغنم بكثير لولا ذلك المنعطف الخطير الذي يتربص بي والحمار قرب عين الماء.

أظل طوال الطريق أفكر كيف سأنجو من ذلك المنعطف دون أن أسقط مع الحمار إلى أسفل الجبل؟!

أصل المنعطف الخطير فأنزل من فوق الحمار وأدفعه فيقفز من المنعطف، ثم أقفز وراءه فينزاح عني نصف الهم، لأنتظم في الطابور حتى يأتي دوري لتعبئة علب الماء، وأعود أمشي وراء الحمار حتى يتجاوز المنعطف أقفز بعده أوقفه وأركب.

وحين سقط أحد الأطفال مع حماره صرخنا كلنا ونزلنا على أثره وقمنا بحمله وإسعافه إلى المركز الصحي، كلنا توقعنا موته فقد كان غائبًا عن الوعي، لكنه نجا، وعاد بعد أسابيع يمشي على العكاكيز بصعوبة، كما نجا الحمار أيضًا، ومن حينها زادت الكوابيس فصارت تهجم علي في نومي وصحوي، أنام وأحلم أنني سقطت مع الحمار إلى أسفل التل وأصحو مفزوعا أتصبب عرقًا، وفي صحوي كنت أتخيل أنني قد سقطت مع الحمار وكسرت رجلي وعدت أمشي بالعكاز فتزداد مخاوفي.

ومضت سنوات وأنا أعيش كوابيس متواصلة خشية السقوط مع الحمار من ذلك المنعطف الخطير، دون أن يقوم الأهالي بتوسعة الطريق، أو البحث عن حلول، ودون أن يخطر ببالي أن هناك طرق أخرى آمنة يمكن أن أسلكها إلى عين الماء دون المرور بذلك المنعطف التاريخي الخطير.!

ولم ينقذني من تلك الكوابيس المخيفة إلا رحيلي من القرية إلى المدينة للدراسة بالجامعة، ومضت سنوات طويلة، وعلمت بأن أهل قريتنا قد استطاعوا إيصال الماء إلى المنازل بعد أن سقط في ذلك المنعطف الخطير أربعة أطفال، توفي أحدهم وبقي الثلاثة يمشون بالعكاكيز، فحمدت الله على أن القرية تخلصت أخيرا من ذلك الكابوس المخيف.

والغريب والعجيب أنني حين عدت إلى القرية قبل أشهر وجدت أن مشروع الماء قد توقف بعد أن تنازع الأهالي على إدارة المشروع وعاد الناس إلى جلب الماء بالحمير والمرور بذلك المنعطف الخطير.!

اجتمعنا في مقيل أحد وجهاء القرية، وتم نقاش هذه القضية، وحين اقترحت عليهم تنظيم إدارة المشروع كل أسبوع عند شخص منهم وافق البعض ورفض آخرون، حاولت جمع كلمتهم ولكن جهودي فشلت فاقترحت عليهم رحمة بالأطفال والحمير أن يسلكوا طرق أخرى آمنة للوصول إلى عين الماء فأبدوا دهشتهم من هذه الفكرة الغريبة التي لم تخطر لهم ببال.!

وحين سألتهم: لماذا لم تسلكوا طريق آخر آمن بدلا من المرور بالمنعطف الخطير؟

وحينها ردّوا عليّ بما أفزعني:

–نحن نمشي وراء الحمير وهي من تسلك بنا ذلك الطريق.!

في اللحظة قبل الأخيرة!

حين فزت بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة والتي نظمتها مؤسسة الإبداع الشبابي بدولة الكويت بدأ الناس ينتبهون إلى أن القصص التي أكتبها قد تكون لها قيمة حقيقية، ولأني الفائز بالجائزة الأولى فقد كانت القيمة المالية للجائزة كبيرة، فرحت بالمبلغ المالي لكني بعد حساب قائمة الطلبات التي جهزتها الزوجة والأطفال وبعض الأقارب وجدت أن المبلغ قد أنتهى بالفعل، بقيت لي القيمة المعنوية للجائزة فهي هي أول اعتراف بموهبتي وتقدير حقيقي لها، إضافة إلى كونها ستسوقني كقاص في العالم العربي فحفل تسليم الجائزة سيحضره الكثير من المبدعين والمسؤولين ووسائل الإعلام.

سافرت إلى الكويت وتسلمت الجائزة ودرع التكريم و100 نسخة مطبوعة من مجموعتي القصصية الفائزة.

بعد عودتي من الكويت وبعد أن كتب الكثير من النقاد عن مجموعتي القصصية، اتصلت بي دار نشر لبنانية مرموقة وطلبت مني نشر مجموعة قصصية جديدة لي، وبالفعل كنت قد كتبت بعض القصص ولكن الدار طلبت 15 قصة قصيرة على الأقل، وكان يمكنني أن أعتذر ولكن المبلغ الذي عرضته الدار مقابل نشر القصص بشكل ورقي والإلكتروني جعلني أتحمس للكتابة، زوجتي وأطفالي يحلمون منذ سنوات بأن نشتري سيارة، وعندما أخبرتهم بالعرض الذي تلقيته هجم عليّ الأطفال يقبلوني ويناشدوني:

– وافق يا بابا أرجوك من أجلنا.

–نشتي سيارة يا بابا.

–الله يحفظك يا بابا وافق.

–فرصة يا بابا وافق.

وافقت ورأيت الفرحة في وجوه الأطفال، أخيرا سأحقق لهم ما يسعدهم.

أبلغت الدار موافقتي فأرسلت لي عقد الاتفاق ونصف المبلغ دفعة أولى فقمت بتوقيع العقد وإرساله إليهم، وتمكنا من شراء سيارة مستعملة ولكنها شبه جديدة وبقينا لمدة أسبوع نتمشى بها في شوارع صنعاء

وضواحيها، ثم انتبهت إلى أن آخر موعد لتسليم القصص هو آخر الشهر الحالي ولم يبق منه سوى 19 يوما، وحينها قررت التفرغ للقصص.

فتحت الحاسوب وبدأت بمراجعة القصص التي كتبتها ولم تنشر بعد فوجدتها خمس قصص فقط، قرأتها كأنني قارئ عادي لا صلة له بها، ثم قمت بإعادة صياغة بعض العبارات وحذف الحشو والكلمات الغير ضرورية ومراجعتها لغويا وبقيت عشر قصص عليّ كتاباتها خلال 18 يوما وفي الثلاث الأيام الأولى حاولت الكتابة فلم أستطع.!

كان جو البيت المشحون بصياح الأطفال وعراكهم وزيارات نساء الجيران للزوجة مع أطفالهن وكذلك الأقارب الذين هطلوا على منزلي بعد علمهم بفوزي بالجائزة قد حرمني من الهدوء المطلوب لكي أكتب وأبدع.

الوقت يمضي ولم يبقَ سوى 15 يوما لتسليم القصص.. فكيف العمل؟!

أعلنت حالة الطوارئ في البيت وجمعت الزوجة والأطفال وصارحتهم بأني لا أستطيع الكتابة في هذا الجو ولابد من حل عاجل فالوقت ينفذ، أبدت الزوجة والأطفال استعدادهم للانتقال إلى منزل عمي (والد

الزوجة) ريثما أتفرغ للكتابة، لكني لم استجب لهذه الفكرة فعمي يتضايق من الأطفال وسيتقبلهم لأيام ولكن لأسبوعين لن يتحملهم.

تركت الزوجة والأطفال في البيت وذهبت إلى فندق واستأجرت غرفة لمدة أسبوعين كي أكتب القصص، ومر اليوم الأول والثاني ولم أستطع الكتابة، وحاولت عصر ذهني والخروج حتى بقصة واحدة فلم أستطع، حاولت تذكر مواقف من طفولتي ومن أيام الشباب أو الجامعة فلم أجد فكرة مناسبة لقصة قصيرة، الوقت يمضي ويزداد الضغط علي ويزداد قلقي وارتباكي.

–ماذا سأقول للزوجة والأطفال وقد تركتهم لوحدهم وذهبت للفندق للتفرغ للكتابة؟

–وهل ستتفهم دار النشر ما حدث لي من عقم إبداعي مفاجئ؟

–وهل ستمنحني فرصة جديدة أم ستلغي العقد وتطالبني بإعادة المبلغ؟

–وهل هناك شرط جزائي إذا لم أنفذ الاتفاق؟

تساؤلات كثيرة حاصرتني وأنا في الفندق ولم أجد لها جواب.

في اليوم الثالث غادرت الفندق وعدت للبيت وأخبرتهم بما حدث لي.

قالت الزوجة:

–حسدونا على الفلوس التي حصلتها من الكويت والسيارة التي اشتريناها وأصابوك بعين شريرة فلن تستطيع الكتابة بعد اليوم.

وأضافت:

–ومش بعيد يكونوا قد عملوا لك سحر يعطلك عن الكتابة ولذا لا بد أن تذهب الآن لمعالج يفك لك السحر.

وحاولت أن أوضح لها أن هذا غير صحيح فكتابة القصص إلهام لا موعد له، يمكن أن يأتي في أي وقت، ويمكن أن يغيب لفترة غير معلومة، ولكنها لم تقتنع أبدا بحديثي وأصرت على موقفها، ولأني مصاب بالسكري والذي ارتفع كثيرا بسبب الضغط الذي أعيشه وإحباطي من ضياع هذه الفرصة الكبيرة التي لا تعوض ومن غياب الإلهام وعدم القدرة على الكتابة فقد انفجر غضبي على الزوجة فوصفتها بالجهل وقلة العقل والشعوذة والخرافات، وأمطرتها بوابل من الشتائم فحزمت حقيبتها وساقت أطفالها وغادرت المنزل باكية إلى بيت عمي.

بقيت وحيدا في المنزل وحاولت الكتابة فلم أستطع، أخيرا يئست من الوفاء بالاتفاق مع دار النشر فذهبت إلى بيت عمي وشرحت له الأمر

وصالحت الزوجة واعتذرت لها واشتريت لها وللأطفال بعض الهدايا وعدنا إلى المنزل.

جهزت رسالة اعتذار لدار النشر فلم يبق سوى ثلاثة أيام وليس من المعقول أن كتب 10 قصص متميزة في 3 أيام، ولكني تريثت في إرسال الاعتذار للحظات الأخيرة، كنت أريد الخروج من دوائر القلق والإحباط التي حاصرتني مهما تكن النتائج.!

اقتنعت بأنها كانت فرصة ولم أوفق فيها، وسوف أتحمل نتائجها.

في اليوم الثاني كنت أبحث عن كتاب قديم من إصدارات مجلة " العربي " فوجدت دفتر قديم قد تمزقت أطرافه فرميته بعيدا وعدت إلى مجلسي بالكتاب وبعد ساعة جاءت ابنتي تحمل الدفتر وتقول لي وأنا غارق في القراءة:

–بابا وجدت الدفتر الذي كتبت فيه القصص، لقد أعجبتني، قرأتها وضحكت كثير هل معك غيرها؟

وما إن سمعت بكلمة القصص حتى رميت الكتاب جانبا وأخذت الدفتر أقلب صفحاته على عجل فوجدت فيه 12 قصة قصيرة كنت قد كتبتها في العام الماضي ونسيتها تماما.

أسرعت أفتح الحاسوب وأطبع القصص وأعيد صياغتها وأجهزها للنشر وفعلا خلال 24 ساعة تم تجهيز المجموعة ب–17 قصة قصيرة وتم إرسالها لدار النشر قبل الموعد بيوم وشعرت بسعادة تغمرني بعد أن انزاح عن صدري هم ثقيل، وبقيت أترقب الرد من دار النشر.

وبعد أيام أرسلت دار النشر رسالة شكر على التزامي بالاتفاق، لقد أشادوا بالقصص وأعجبوا بها، ووصلني المبلغ المتبقي كما صدرت المجموعة التي كنت قد يئست من صدورها، لقد حدث كل شيء وأنا غير مصدق ما يحدث لي.!

زلة لا تغتفر!

منذ شبابه وهو مع الشيخ، رافق كثيرون مع الشيخ، جنود من الجيش، مسلحون من القبائل، شباب من أقارب الشيخ، لكنهم كانوا يرحلون ويأتي غيرهم، إلا هو فقد قرر البقاء مع الشيخ إلى نهاية عمره، ولإخلاصه للشيخ فقد عينه مرافقه الشخصي فكان الوحيد الذي يركب بجواره في السيارة، لا يفارق الشيخ حيثما حل أو ارتحل، حتى في سفره إلى خارج اليمن سافر معه، ولأن للشيخ علاقاته القوية بالمسؤولين فقد سجله جندي في الجيش ثم أخرج أمرا بانتدابه مرافقا معه كي يضمن له راتبا من الدولة.

وحين توفي مبخوت سليمان المقوت الخاص بالشيخ أنتدبه الشيخ لهذه المهمة، فكان يذهب في الصباح إلى حقول القات يتفقدها ويشرف على ري مواضع منها تكفي لقات الشيخ وضيوفه ويحرص على أن تظل أشجار القات بعيدة على السموم والأسمدة الكيماوية كي تنمو بشكل طبيعي ولا تفقد طعمها.

قبيل الظهر يقطف أربع حزم كبيرة من القات تكفي للشيخ ولضيوفه، يضعها في طربال مبلل بالماء ثم يعود بها إلى منزل الشيخ ليغسلها جيدا ويقطف أغصان حزمة منها في كيس كبير بما يكفي ليمضغها الشيخ في مقيله ثم يضع ثلاث حزم أمام الشيخ ليوزع منها على ضيوفه الذين ينصرفون عادة بعد العشاء وحين يغادر الشيخ ديوانه ليواصل سمره مع نساءه بالداخل يسلمه كمية أخرى من القات تكفي لسمره الذي يمتد إلى بعد منتصف الليل.

لقربه من الشيخ فقد توسط لأشخاص كثيرين وأستطاع حل قضايا كثيرة فقد كان يعرف الوقت الذي يكون فيه الشيخ مسرورا ولا يرد له أي طلب، كان في أغلب الأوقات صامتا يستمع للشيخ باهتمام حتى جاء ذلك اليوم النحس حيث كان الشيخ يحكم بين قبيلتين في قضية كبيرة فإذا به يقاطع الشيخ فجأة ويقترح هو الحكم في القضية، فوجئ الشيخ بما حدث منه فصمت عن الكلام وصمت كل من في المجلس، لم يفعلها أحد قبله فلم يجرؤ أحد على مقاطعة الشيخ أثناء حديثه.

تغير وجه الشيخ وأحمر غضبا وهو بدوره أدرك خطأه فقال:

–العفو يا شيخ الحكم حكمك وأنا محكم لك.

ظل الشيخ صامتا والناس ينظرون إليه بذهول بينما واصل هو حديثه:

–زلة لسان يا شيخ والله ما تتكرر

رمى شاله بين يدي الشيخ وهو يتوسل:

–بجاه الله يا شيخ تسامحني وأوعدك بشرفي ما أزيد أتدخل بعد اليوم.

–هي غلطة يا شيخ لي منعك.

–يا شيخ من قدر وعفي والمسامح كريم.

ولأن الشيخ ظل صامتا فقد نهض من مجلسه ليقبل ركبة الشيخ ورأسه ليسامحه ولكن الشيخ دفعه بقوة فوقع في وسط المجلس، وصاح الشيخ بمرافقيه:

–بزوا أبوه

أسرع مرافقو الشيخ يمسكونه ويجرونه خارج المجلس بينما قال الشيخ:

–سجن القلعة.

أنهار باكيا عند سماعه كلمة السجن وواصل رجاءه:

–يا شيخ أنا لي ثلاثين سنة في خدمتك

–يا شيخ هي أول وآخر غلطة

–يا شيخ أنا داعي لك بداعي القبيلة

أصم الشيخ أذانه عن توسلاته وحين غادروا به المجلس التفت الشيخ إلى الحاضرين:

–حتى لو هو أبني المخطئ يأخذ عقابه.

ووجه الشيخ حديثه للحاضرين:

–ماذا كنا نقول؟

ثم واصل الشيخ حديثه وكأن شيئا لم يكن.!

مرض غريب!

توقف الولد في باب متجر الألعاب وأمسك بإحدى الكرات المتدلية بينما يده الأخرى في يد أمه التي كانت تسحبه بقوة بينما يرفض التحرك متشبثا بالكرة، لكن أمه سحبته بقوة فأجهش باكيًا.

كنت أمشي خلفهم فتخيلت هذا الطفل المحروم ولدي واجتاحني شعور عارم بالشفقة عليه والحزن لحاله، لقد أدركت من ملابس أمه وما تحمله مدى فقرهم فقررت أن أشتري الكرة ثم ألحق به وأعطيه إياها لكنني خشيت أن ترفضها أمه فهؤلاء الفقراء لديهم عزة نفس وكرامتهم فوق كل شيء ولذا فقد لحقت بالولد وبسرعة وضعت في جيبه 3 ألف ريال ومضيت دون أن ينتبه.

ومضي يومي رائعا والسعادة تغمرني سرورا بما فعلت ولم يخطر ببالي ما حدث بعد ذلك.!

مر يوم ثم أيام ونسيت الأمر..

بعد أسبوع صعقت عندما وجدت صورتي تجتاح المواقع الإخبارية وفي الخبر:

-أكاديمي معروف يسرق طفلا في الشارع.!

لقد اتهموني بأنني سرقت الطفل وانتشر الخبر في مواقع الأخبار والتواصل الاجتماعي مرفقا بفيديو من ثواني معدودة ظهرت فيه وأنا ألحق بالطفل وأدس يدي في جيبه ثم ينتهي الفيديو فجأة.!

لابد أن هناك من صورني في تلك اللحظة وأجتزأ الفيديو لأظهر فيه وأنا أدس يدي في جيب الطفل وتحول الأمر إلى حملة إعلامية مغرضة ضدي، اتصلت ببعض الأصدقاء والزملاء ولكن لم يرد علي أحد.!

وصلت هاتفي العشرات من رسائل الشتائم وصرت منبوذا من الجميع ومشكوكا في أخلاقي، أقف وحيدا أمام حملة إعلامية مغرضة، ارتفع ضغطي والله وحده أعلم كم وصلت نسبة السكري عندي وسألت نفسي:

-إلى هذه الدرجة يتربص بي البعض؟!

-وإلى هذا الحد يتخلى عن الزملاء والأصدقاء؟!

وبدأ بعض الشباب بالحارة يتجمعون تحت منزلي وبدأت أسمع شتائمهم وتطور الأمر إلى رشق للحجارة على شبابيك المنزل فقررت مواجهتهم وخرجت إلى البلكونة وصرخت فيهم:

–أي طفل سأسرقه يا ناس؟!

–ماذا يمتلك هذا الطفل في جيبه ألا تفكرون؟!

–هل ستصل بي الحقارة أنني سأسرق طفل في الشارع؟!

–هل رأيتم يدي في الفيديو خرجت بشيء من جيب الطفل؟!

وضحت لهم أنها مكيدة مدبرة ضدي وأنني كنت أعطيه ثمن الكرة التي لم يستطع شراءها من محل الألعاب وطالبتهم بأن يسألوا الطفل وأمه قبل أن يصدقوا وسائل الإعلام، وفي فورة الغضب رميت بكل ما معي من نقود فوق رؤوسهم فصمتوا وارتبكوا وهرعوا يجمعون النقود المتطايرة ثم جاؤوا إلي واعتذروا مني وأعادوا لي النقود.

لقد أقنعت بعض الشباب بالحارة فكيف أقنع بقية الناس وقد شاهدني الآلاف وتضررت سمعتي؟!

وتحركت لإعلام الرأي العام بالحقيقة.

جئت ببعض وسائل الإعلام وسألنا عن الطفل وأمه وبعد جهد جهيد وجدنا منزلهم وصورنا معهم وقامت أم الولد مشكورة بتوضيح الحقيقة للناس وبعد بث تلك المقابلات أتصل بي الكثير من الزملاء والأصدقاء وبدأوا يتضامنون معي.!

ومرت أيام وأسابيع وجاءني اتصال من المدرسة بأن ابنتي مرضت فجأة وعليّ الإسراع لإسعافها، وأسرعت أقود سيارتي وأنا في حالة من الهلع لا يعلمها إلا الله والحمد لله ما أن وصلت حتى كانت إدارة المدرسة قد قامت بالإسعافات الأولية للطفلة وتحسنت حالتها وقمت بأخذها إلى الطبيب لعلاجها.

بعد أيام فوجئت بحملة إعلامية جديدة ضدي تتهمني بخطف طفلة من باب إحدى المدارس، ونشروا فيديو يظهر حملي للطفلة إلى داخل السيارة التي انطلقت بها من أمام المدرسة وقبل أن أرد كانت المدرسة قد أصدرت بيانا وضحت للرأي العام حقيقة ما حدث وتلقيت الكثير من اتصالات التضامن معي وزارني الزملاء ليعلنوا وقوفهم معي.

هناك من يترصدني ويحاول فبركة أي حركة لي وتصويرها كجريمة لكن من يكون هذا الذي يتربص بي وما الأسباب؟!

فكرت كثيرا ولم أصل لنتيجة..

بعد أسبوع وجدت في جولة الدائري عبده إدريس جارنا الذي يعمل شرطي مرور فتوقفت وركنت سيارتي جانبا وذهبت لأسلم عليه، فرح بي وظل يشكو لي حاله بعد توقف الرواتب وطلب مني أن أسلفه مبلغ مالي فأعطيته المبلغ وبعد أيام فوجئت بحملة في وسائل الإعلام تصورني بأني فاسد ومخالف وقمت بتقديم رشوة لشرطي المرور حتى لا يسجل علي مخالفة سير.!

وقبل أن أوضح للرأي العام حقيقة ما حدث كان الشرطي جارنا قد سبقني ووضح الحقيقة للناس.

وبعدين؟!

يبدو أنني لن أرتاح من هذه الحملات التي تقودها جهة خفية ضدي؟!

الغريب أن الناس بدأت تتضامن معي بشكل أكبر مما توقعته وبدأت أشتهر حتى أن الناس الذي يمرون بجواري يحيوني وبعضهم يلتقط الصور معي، لقد فاجأني عامل في محطة البنزين حين رفض ثمن البنزين وألتقط صورة معي.!

وبدأ الزملاء وأهالي الحارة يتوافدون بشكل يومي للمقيل في منزلي وبدأت حياتي تتغير وبدأت الحملة المغرضة ضدي تأتي بنتائج عكسية.!

أعمل أي حركة فتقوم وسائل الإعلام بقلب الحقائق وقصقصة الفيديوهات ومهاجمتي فيتطوع الناس للدفاع عني والتضامن معي وبدأت بعض وسائل الإعلام تنحاز إليّ وتدافع عني بشكل طوعي.!

ما الذي يحدث لي؟!

ويوما بعد آخر توسعت شهرتي وصار الديون يمتلئ في المقيل وجاء الكثير من الناس إلي بهدايا وبعضهم صاروا يدعوني لحضور أفراح ومناسبات والتوسط في حل قضايا كبيرة وقرأت كتابات عديدة تشيد بي وتصفني بالمناضل والمفكر والشخصية الوطنية ووو إلخ.

حدث لي كل هذا خلال فترة قصيرة.!

ومرت أسابيع، وفجأة توقفت الحملات الإعلامية ضدي، وبدأ الناس يتناقصون في المقيل حتى أقتصر الحضور على بعض الزملاء ثم توقفوا هم أيضا عن زيارتي ولم يعد يأت إليّ أحد.!

لقد تعودت على حضور الناس وتصدر المواقف ولذا حاولت الاتصال بالزملاء وأهالي الحارة ودعوتهم للمقيل في منزلي ولكن لم يستجب لي أحد.!

عجيب.!

وتناقصت شهرتي مع مرور الوقت حتى صرت أمشي في الشارع ولا يأبه بي أحد.!

وحز في نفسي هذا التجاهل الغريب لي بعد الشهرة الكبيرة واجتاحني حنين جارف إلى زمن كنت فيه حديث الرأي العام وسألت نفسي:

–ما الذي يحدث معي؟! يهاجمونني فترة ثم يتوقفون، يأتي إليّ الناس ثم ينصرفون، لماذا هاجموني؟ لا أعرف، لماذا تجاهلوني فجأة؟ لا أعلم؟!

هناك شيء غامض لا أفهمه.!

حاولت افتعال بعض المواقف والحركات لعلهم يهاجموني فيدافع عني الناس وأعود إلى الأضواء ولكن لا جديد.!

حاولت وضع نفسي في مواضع الشبهات لعلهم ينتقدوني ولكن لم يلتفت إليّ أحد!

ارتكبت مخالفات بالفعل، قطعت إشارة مرور، وقدمت رشوة إلى موظف عام، وقمت بالاعتداء على بعض العمال في الشارع، ووقفت بشكل مريب أمام مدرسة بنات، لعل وعسى يهاجمني أحد ولكن الكل تجاهلني، كأنني غير موجود؟!

وكأنني ألبس طاقية الإخفاء.!!

ومرت أسابيع وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله ثم نفذ صبري واجتاحتني حالة من الهستيريا فحلمت بندقي وخرجت إلى الشارع وبدأت بإطلاق النار في الهواء وحين جاءت دورية الشرطة أطلقت النار باتجاهها ولحسن حظي لم يصب أحد، اقتربت سيارة الشرطة مني ثم تجاوزتني فغلي الدم في عروقي فأطلقت النار على إطارات السيارة حتى أوقفتها، وحين توقفت كان رصاص سلاحي قد نفذ فتقدم نحوي أربعة من جنود الشرطة وأخذوا مني سلاحي وانهالوا علي صفعا وركلا، لقد ضربوني حتى غبت عن الوعي، لقد حدث كل هذا والناس يتفرجون علي ولا يحركون ساكنا وكأنني لم أكن يوما أشهر من نار على علم.!

بعد أن ضربوني قيدوني وزجوا بي في زنزانة انفرادية لأيام ليتوسط لي بعض الزملاء الذين أقسموا للشرطة بأنني مريض نفسيا فأفرجت الشرطة عني ولكن بعد أن ضربوني مجددا وبشكل أعنف.!

الآن بعد أسابيع بدأت جروحي تلتئم وبدأت أتعافى والمفاجأة أنني تعافيت أيضا من هوسي السابق بالشهرة.!

نهاية العالم!!

رغم أن تلك القصة قد حدثت لي قبل أكثر من عشرين عاما إلا أنني كلما أتذكرها أضحك، وما قصصتها لأحد حتى ضحك، أحيانا أتذكرها وأنا في الطريق لوحدي فأضحك وأظل أتلفت لأرى هل يراني أحد أضحك لوحدي في الطريق؟

أكيد سيقولون إنني مجنون.

صرت مؤخرا كلما تذكرت هذه القصة وكنت لوحدي أحاول منع نفسي من الضحك حتى لا يدخل عليّ أحد فيقول بأنني قد فقدت عقلي وصرت أضحك بلا سبب.

لا شك أنكم تودون معرفة هذه القصة المضحكة..

كان عمي رحمه الله شيخ منطقتنا " بني عمران " في العدين بريف إب وتم تحكيمه في قضية كبيرة في المنطقة وتم الاتفاق على أن يكون اللقاء بين الجميع في منزل أحد أطراف القضية في يوم محدد وفي ذلك اليوم

أرسلني في الصباح مع أحد أولاده وشخص آخر لنتأكد من حضور جميع الأطراف ولنبلغهم بحضوره وصلنا تلك القرية في رأس جبل، كنا قد تناولنا إفطارنا فجاؤوا إلينا بالشاي وحزم صغيرة من القات الفاخر لكي "نفذح[1]" ولم أكن قد مضغت القات قبل ذلك اليوم ولكن لأنهم أصروا علينا والقات فاخر جدا ومغري فقد تناولت بضعة أوراق منه ثم تذوقته فوجدته طعمه حلو جدا وكانت تلك القرية مشهورة بالقات الفاخر، مضغت حزمة صغيرة من القات إلى قبيل الظهر ثم رميته وصلينا الظهر وأقبل الناس من كل مكان لحضور التحكيم.

تناولنا الغداء ثم وزعوا حزم القات الفاخر على الجميع ولأني قد جلست بجوار الشيخ فقد نلت الكثير من القات الفاخر ومضغت القات وزاد الماء على الطحين وبدأت أدخل هوليود وأعيش أفلام الرعب والأكشن.!

كان كل من في المجلس مندمجون في الحوار الصاخب حول القضية وكنت في واد آخر تماما، وحين دخل ثعبان أسطوري من النافذة وأبتلع نصف من في المجلس صرخت بأعلى صوتي:

---

[1] (نفذح): نمضغ كمية قليلة من القات في الصباح وهو نبات منبه يمضغ في اليمن والحبشة وبعض الدول.

–الحنش واااو الحنش أكل الناس يا لطيف يا لطيف يا الله يا الله..

وشرعت واقفا أضرب الهواء بعصا عمي وقد تخيلتها عصا موسى التي ستلقف الحنش وضج الناس في المجلس بالضحك والذهول وجذبني عمي إلى جواره وصاح في:

–تعوذ بالله من الشيطان ما فيش حنش ولا حاجة، أسكت.

سكت وما هي إلا لحظات حتى دخل البرق كأنه الصحن الدوار في مسلسل جرنديزر وقطع رؤوس نصف من في المجلس فقمت واقفا أصرخ بأعلى صوتي:

–البرق قطع رؤوس الناس الله الله.

جذبني عمي وصرخ في وجهي:

–أسكت وإلا أخرجتك من المجلس..

سكت وأمري لله وبعدها حدث ما كنت أخشاه فقد غاص المجلس بمن فيه في أعماق البحر، كدت أصرخ بأعلى صوتي إلا أنني تذكرت أن عمي سيخرجني من المجلس وحينها ستأكلني السمك التي أراها فاغرة أفوهها فأمسكت أعصابي رغم أني أرتعد من شدة الخوف وأتشهد

وأستغفر، وكأن المجلس غواصة خرجت من البحر وتحولت طائرة في الهواء بين السحاب وأنا أنظر من علو للبيوت والقرى فتبدو ضئيلة جدا، كنا في طائرة المجلس التي تفوقت على أحدث الطائرات والغريب أن عمي ومن في المجلس واصلوا الحديث في القضية رغم ما يحدث لنا من أهوال وغرائب وعجائب وحين هبطنا في كوكب غريب جدا كان عمي قد حل القضية وكتب أوراق الاتفاق ووقع عليها أطراف القضية وبدأنا نغادر المجلس، سلمني عمي البندق وكيس القات فحملته وتبعته وبعد خروجنا من المنزل بدأت سلسلة جديدة من أفلام الأكشن.

لم نكد نمشي سوى مسافة قصيرة حتى صرخت بهم:

-البرق والرعد والمطر بدأ يهطل أين سنذهب؟

كان بعضهم يضحك والبعض الآخر يحوقل ويبسمل ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، واصلوا سيرهم رغم المطر الذي هطل علينا كأفواه القرب.!

ومضيت طول الطريق أصرخ فيهم:

-المطر أغرقنا يا ناس، السيل جرفنا يا خلق الله، الرعد والبرق يا الله يا الله، لقد كنا في موج كالجبال، لكنهم لم يعيروني أدنى اهتمام، ومضيت

معهم رغم يقيني أننا نعيش نهاية العالم، وأنه قد جاء الطوفان وامتلأت الأرض بالماء حتى صارت بحرا متلاطم الأمواج، ومع هذا كنا نسير فوق الماء بقوة أسطورية، كنت قد رفعت ثيابي إلى فوق الركبة، ارتجف من البلل وأصرخ:

–وح وح وح وح وح الله الله الله وح وح وح.

وصلنا منزل عمي على أذان المغرب رميت القات من فمي وتوضأت وصليت صلاة الوداع لهذا العالم الغريق، بعد ذلك بدأ المطر يخف والأرض تبتلع الماء والعالم يعود إلى الهدوء رويدا رويدا.

جاؤوا بالعشاء فتعشيت ثم أعطوني وعاء مليء باللبن فشربته وبدأت أغادر أجواء أفلام الرعب والأكشن وأعود إلى وعيي حتى هدأت تماما ورحت في نوم عميق.

في اليوم الثاني خرجت في الصباح أتفقد مصير العالم بعد الطوفان فوجدت الأرض جافة يابسة فلا أثر للطوفان الذي عشته بالأمس وكان من رآني يضحك.!

رضيت بهذا الصمت

كنت قد أخبرتكم أنني ذهبت إلى طبيب الأذن في منتصف الشهر الماضي أشكو من الطنين الذي كان في أذني وسبب لي صداع متواصل وإزعاج يصعب وصفه.

أخبرني الطبيب حينها بعد أن فحص أذني أن الطنين أحد مضاعفات السكري وطمأنني بأنه لا قلق منه وصرف لي العلاج ونصحني أن أتجاهل الأمر "أطنش" ولا أشغل بالي وفعلا طنشت ورغم أني أتناول العلاج فقد ضعف سمعي تدريجيا وأنا مطنش ولكن ما حدث لي اليوم لم يكن يخطر لي ببال.!

اليوم استيقظت فوجدت العالم من حولي هادئ وصامت تماما، ولم أعد أسمع شيئا لا ضجيج الشارع المجاور ولا صوت المولد الضخم في حوش المتجر المجاور ولا شيء، كأنني قد انتقلت إلى عالم جديد، عالم هادئ وساكن تماما، ورغم أني أسكن فوق صالة أفراح ومناسبات فلم أعد

أسمع شيئا، كل يوم كان يزعجني المغني في الصالة: " وحقك يا عريس حقك ".

جاءت الزوجة إلى أمامي فانتبهت بأنها كانت تحدثني ولم أسمعها، فقلت: " أنا لا اسمع شيئا " ثم وجدتها غاضبة فكررت: " أنا لا أسمع شيئا " وعدت للقراءة فالصمت هذا مناسب جدا للقراءة، عندها عادت وبيدها ورقة مكتوب عليها:

-تتصانج؟!

أقسمت لها الأيمان المغلظة أنني لم أعد أسمع شيئا، فخبطت على صدرها والخوف يصبغ وجهها وكتبت على عجل:

-يعني لن تسمعني بعد اليوم؟!

-نعم لن أسمعك وعليك من الآن بالكتابة أو الإشارة.

أشعر الآن بهدوء وصمت عجيب حتى لو شتمني أحد فلن أعلم بما يقول وسأظل في كامل الهدوء وراحة البال، أعتقد أن هذا هو الوضع المناسب لكي تنخفض نسبة السكري المرتفعة عندي، لكن كيف سأتعامل مع أمي التي لا تطمئن إلا عندما تسمع صوتي؟!

اتصلت بها ثم قلت:

–أماه السلام عليكم، كيف حالك، هل أنت بخير؟

وواصلت وأنا لا أسمع شيء: أنا بخير، الحمد لله والأولاد كلهم بخير، كلنا بخير وزلت مني كلمة " أنا لا أسمعك بشكل واضح " ثم تداركت الأمر:

–يبدو أن سماعة الهاتف معطلة المهم أنت بخير، أحببت فقط أطمئن عليك ربنا يحفظك ويعافيك، مع السلامة.

أغلقت الهاتف وشعرت بارتياح فقد طمئنت أمي حتى لا تظل قلقة علي، بعد نصف ساعة كتبت لي الزوجة:

–أمك اتصلت وقالت إنك اتصلت بها ولم ترد عليك فأخبرتها أن سماعة تلفونك معطلة وأنك ستكلمها غدا.!

لقد كنت سعيدا بهذا الهدوء والصمت ولكن قلق أمي علي جعلني أدرك أن للأمر جوانبه السلبية أيضا فقد فقدت لغة التواصل الأهم مع الناس وأجد صعوبة في فهمهم لي ولما أريد ولكن هل سأستعيد السمع؟

هذه إجابة لا يملكها غير الأطباء وما أزعجني ونغص علي هذا الهدوء التام والانسجام مع القراءة أنني قرأت أن السكري يبدأ بإضعاف

السمع عند المصاب به حتى يفقده بشكل كامل ثم يؤثر على وظائف القلب وهذا ما بدأت أعاني منه والأخطر أنه يضعف النظر وقد يقضي عليه وما يخيفني ولكني بإذن الله ورحمته لن أصبح رهين المحبسين.

موت العصفور!

هل ستصدقونني إذا أخبرتكم أنني فقدت عملي بسبب عصفور؟!

إنها قصة غريبة لن أنساها ما حييت وسوف أحكيها لكم:

القصة بدأت عندما أشترى جيراننا عصفور في قفص ولم يمض سوى أسبوع حتى رزقت بطفلي الأول، الطفل يبكي بشكل متواصل فيحمل أطفال الجيران العصفور إليه فيسكت عندما يراه، وأحيانا كنا نطلب العصفور من جيراننا لكي نسكت به الطفل، ومرت أسابيع على هذا الحال حتى أخبروني بموت العصفور فأحسست بالحزن يجتاحني لفراق هذا الكناري الجميل، لقد كنت أراه حزينا صامتا، لم أسمعه يوما يغرد أو يزقزق مثل تلك العصافير التي تزقزق فوق الشجر، غير أنني مثل جيراننا لم أنتبه إلى سبب حزنه، وهو أنه وحيدا في القفص.

بعد موته أخبروني أن البائع كان قد حذرهم أن العصفور لن يعيش طويلا دون أنثى ترافقه، لكنهم ظنوا أنه يحرضهم على شراء العصفورة

الأخرى ليس إلا، لو علمت بهذا التحذير لاشتريت له عصفورة تشاركه حياته ولكنني علمت بعد فوات الأوان.

فكرت بشراء عصفور وعصفورة لكي يتسلى بهم الطفل ويسكت عن البكاء، ذهبت إلى محل العصافير وتحدثت مع البائع وأخبرته أنني محتاج للعصافير بشدة لكي يسكت الطفل ويبدو أنه عندما عرف القصة وحاجتي للعصافير طلب ثمنا أكبر مما توقعت فرفضت هذا الابتزاز ولم أشتر العصافير.

أخبرت أطفال الجيران بحزني على موت العصفور فضحكوا علي، قلت في نفسي: هم لا يعلمون بدلالات هذا الموت لدي كإنسان ولا بانعكاساته في مشاعري وأحاسيسي.

وذكرني موت العصفور بالنهاية المأساوية لأول عصفور امتلكته عندما كنت طفلا حيث أمسكت به جوار منزلنا ولما لم أجد له قفص مناسب فقد بقيت ممسكا به في يدي، وظل المسكين في يدي طيلة ساعات إلا أن القط غافلني وهجم عليه وانتزعه من يدي وفر هاربا، جريت وراءه ولكني وصلت بعد أن لفظ العصفور أنفاسه فحزنت عليه وبقيت أكن الكره الشديد لذلك القط الذي سلبني عصفوري.

لم تفارق خيالي صورة العصفور وهو جثة هامدة، وفقدت شهيتي للقراءة والكتابة وتوقفت عن العمل وأغلقت هاتفي المحمول وغرقت في الصمت الكئيب حزنا على العصفور.

وفي اليوم الثاني اتصلت بالمؤسسة واعتذرت عن الحضور لأني متعب وبقيت لأيام متغيب عن الدوام فأتصل المدير بالمنزل يستفسر عما جرى لي فأخبرته بأنني مرضت وسوف أعود إلى العمل ولكنه لم يقتنع بهذا العذر ولذا فعندما وصلت مكتبي في المؤسسة طلبني المدير على الفور وسألني عن سبب تغيبي فأخبرته بقصة العصفور فلم يصدق ما سمعه مني.

لست أدري كيف غلبتني مشاعري وجاشت أحاسيسي في مكتب المدير فإذا بي أجهش بالبكاء وسط ذهول المدير الذي أرتبك وأسرع يواسيني ويقدم لي المناديل الورقية والماء.

–وحد الله يا أستاذ محمد حصل خير.

وحاول المدير أن يوضح لي أنني قد بالغت في الأمر كثيرا فالعصافير تموت كل يوم وموتها أمر طبيعي ولا يستحق كل هذا الحزن والبكاء والتوقف عن العمل، وختم المدير نصائحه لي بالذهاب إلى طبيب نفسي

وحينها سمعت اسم الطبيب النفسي اجتاحني الغضب وفقدت أعصابي واتهمته بانعدام المشاعر والأحاسيس وإذا به يفقد أعصابه ويصرخ في وجهي:

–روح يا مجنون أتعالج وبعدين تعال أتكلم.

ولم أتحمل هذا الاتهام بالجنون فقذفته بقنينة الماء فقذفني بمنفضة السجائر التي وقعت على وجهي فسال الدم من أنفي فهجمت عليه واشتبكنا بالأيدي وهرع الزملاء يفضون الاشتباك ويدفعونني خارجا فعدت إلى منزلي وأنا أمسح أثار الدماء وأتوعد المدير بالتشهير والمقاضاة.

وفي اليوم الثاني أبلغوني بقرار فصلي من المؤسسة وأن المدير أقسم الأيمان المغلظة لو وجدني بالمؤسسة فسوف يكسر رجلي، قائلا بسخرية:

–خلو العصفور ينفعه هذا الحساس.

لقد فقدت عملي.. وحاول زملائي بعد ذلك التوسط لي عند المدير لأعود إلى العمل إلا أنه رفض بشدة وهدد من يحاول فتح موضوعي بالعقوبة والخصم من راتبه فلم يتحدث عني بعد ذلك أحد، وهكذا راح

عملي بسبب العصفور وبسبب مشاعري التي زادت عن حدها وانقلبت إلى ضدها ومضى وقت طويل حتى وجدت العمل المناسب، ومن يومها حرمت دخول العصافير منزلي ورزقي ورزقها على الله.

مخاوف ثور

يبدو أنني الثور اليمني الوحيد الذي سيكسر القاعدة ويحطم الحواجز ويقتحم عالم الكتابة برواية مشاعره وخواطره والبوح بمخاوفه وآلامه وآماله، ولا أخفيكم أنه قد اجتاحني مؤخرا شعور عارم بالخوف منذ أن رأيتهم يبقوني في السفل ويزيدون في حصتي من القضب والبرسيم، لقد استرحت من عناء الحراثة في الحقل بين حر الشمس لكنني خشيت في بداية الأمر أن يذبحوني في العيد، فلم يبق للعيد سوى أيام لكني بعد أن هدأت قليلا وفكرت استبعدت هذا الأمر فلم يعد أحد في اليمن يضحي بثور، سقى الله أيام زمان يوم كان بعض الناس يضحون بثور، أما هذه الأيام فقد صارت الدجاج هي أضاحي الأغلبية من اليمنيين، بل لقد صارت الدجاج لمن استطاع إليها سبيلا، والبعض سيضحي يوم العيد بعلبة تونة، ما أخافني حقيقة هو أن يرتكب أحد أفراد البيت أو حتى أقاربهم حماقة وأجد نفسي أساق مع ثور آخر كهجر وعقيرة لأهالي القتيل وخلال ساعات يتم ذبحنا ودفن القضية!!

لقد صرنا ندفع ثمن حماقات البعض من اليمنيين الذين يصفون حساباتهم ويقتلون بعضهم وندفع نحن الثمن بل ونستخدم كأداة لوأد أي قضية وتمييعها!!

في كل مصيبة يرتكبها البعض نساق نحن إلى الموت كهجر وعقيرة وفوق هذا يقومون بإطلاق الرصاص وترويعنا يعني موت وقوارح وذبح وترويع!!

أتذكر أن غبير، ثور جارنا قد ذهب ضحية حماقة جارنا الذي بعد أن تشاجر مع زوجته ذات صباح لأنها نسيت وضع الملح في الصبوح فصفعها أمام الأطفال، فتركت المنزل باكية وظل غبير لمدة يومين بلا أكل ولا ماء حتى قفز من فوق الحوش إلى الجربة المجاورة وأكل حتى شبع قبل أن يساق بضرب عنيف مرة أخرى الى الحوش، وفي اليوم الثالث ساق جارنا غبير إلى منزل عمه، لقد رأيتهم يسوقونه وأدركت أن غبير قد ضاع الأبد وحينها طفرت الدموع من عيني وأنا أرمقه بنظراتي للمرة الأخيرة ولسان حالي " الوداع يا صاحبي " وعندما وصل جارنا إلى بيت عمه اطلق الرصاص وقدم غبير وصلة وهجر واعتذار عما فعله بحق زوجته وتجمع الناس وذبحوا غبير وأكلوا لحمه، وفي المساء عاد جارنا وزوجته إلى المنزل ولم يعد غبير الذي دفع ثمن حماقة جارنا وقلة عقله!

في ذلك المساء نظرت إلى حوش غبير فوجدته خاليا فجعرت بكل صوتي ولم استسغ طعم العلف وفقدت القدرة على الأكل، لكني عدت للأكل عندما سمعتهم يقولون " الثور لا يأكل إذا استمر هكذا سنبيعه للجزار " فقلت في نفسي: "يا روح ما بعدك روح" وأكلت وقمت أجري واتبرطع زي الحصان حتى يعلموا أني بخير وما فيش داعي لبيعي للجزار.

ومنذ ما حدث لغبير وأنا أرهف اسمع وأنصت ويسقط قلبي من الخوف عند كل شجار أو عراك يحدث خشية أن أروح في الرجلين وأدفع ثمن حماقات بعض البشر هنا، ففي اليمن يدفع الثيران والبقر ثمن حماقات البعض من البشر!

بيت تسكنه الخرافة!

أيقظتني أمي مع أذان الفجر وعلى ضوء الفانوس تناولت فطوري الساخن وأنا أتساءل:

–إلى أين سترسلني أمي في هذه الساعة؟!

وحين بدأ الديك ينفض ريشه ويمط رقبته ويصيح كنت قد أكملت تناول فطوري فسلمتني أمي الكيس ووضعت حدا لفضولي:

–هذه علبة عسل وهذه علبة سمن سلمها للولي شهاب الدين في راس جبل الصفا.

كنا نرى من منزلنا ضريح الولي كنقطة بيضاء تزين رأس الجبل البعيد لكن الوصول إليه سيرا على الأقدام يتطلب ساعتين على الأقل.

وأضافت أمي:

–عندما مرض أخوك نذرت للولي أن تعافى بعلبة عسل وعلبة سمن وقد تعافى ولابد من الوفاء بنذري.

ودست في جيبي خمسين ريال.

سألتها:

–وهذه الفلوس للولي؟

–لا هذه لك لأنك ستتعب في صعود الجبل.

ومضيت وأمي ترقبني..

رويدا رويدا بدأ الصبح يرسل أول خيوط الضياء، اختفت بيتنا عن ناظري، بدأت أقدم رجلا وأؤخر أخرى.

–لن أذهب إلى الولي لأن الولي قد مات ومن يأكل العسل والسمن هو القائم على الضريح ولن يعلم بما حدث.

–سأذهب إلى الولي وأسلم العسل والسمن إلى قائم الضريح والخمسين ريال تكفيني لشراء كرة جديدة بعشرين ريال وما سيبقى سأصرفه في المدرسة لأسابيع.

–لن أذهب إلى الولي سأذهب إلى سوق الربوع وأبيع العسل والسمن هناك ثم أتمتع بالنقود وأشتري كرة جديدة وبذلة رياضة وثوب جديد، وهذا الحذاء بدأ يتمزق سأشتري أيضا حذاء جديد.

–لكن ماذا سأقول لأمي؟

–من أين جئت بقيمة البذلة والثوب والحذاء؟!

–هل ستغضب أمي أن أخبرتها أنني لم أذهب إلى الولي؟

–هل ستضربني؟

–هل سيخبرها الولي بأنني لم أذهب إليه؟

–كيف سيخبرها وقد مات؟

صراع رهيب في داخلي وأخيرا حسمت الموقف.

أوقفت أول سيارة وركبت إلى السوق.

في السوق وجدته كان يجلس على دكة مرتفعة ويدخن المداعة "النرجيلة"، أنه صديق أبي، أتذكر أنه كان يزورنا ويعطيني عشرة ريال فكيف أنساه؟!

وحين صافحته سألني على الفور:

–أنت ابن المرحوم؟

–أيوه.

احتضنني وترحم على والدي وطفرت دموعه، طلبت منه أن يبيع لي العسل والسمن لأننا نحتاج للنقود لنذهب بأخي المريض للعلاج في المدينة.

فتح علبة السمن وشمها:

–ما شاء الله سمن بلدي ممتاز.

وفتح علبة العسل ومد أصبعه وتذوق العسل:

–عسل سدر بلدي فاخر.

نادى ولده وسلمه العسل والسمن ثم أخرج من جيبه رزمة كبيرة من النقود وسألني:

–كم تحتاجون من الفلوس لعلاج أخيك؟

فاجأني سؤاله:

–لا أعرف أول مرة سنذهب إلى المدينة.

وبدأ بالعد مائة مائتين ثلاث أربع.... ألف ريال.

وضع النقود في جيبي ثم حذرني من اللصوص.

وأضاف:

–أنا اشتري أفخر علبة عسل بلدي ب–100 ريال وأفخر علبة كبيرة من السمن البلدي ب–50 ريال لكن لأنك ابن المرحوم هذا ألف ريال أعتبره هدية مني وربنا يشفي المريض ويعافيه وإذا احتجتم أي شيء فأنا بمقام والدك.

ودعته ودخلت السوق اشتريت البذلة والكرة وبعض الحلوى ثم ركبت أول سيارة باتجاه قريتنا.

وضعت يدي على جيبي حتى لا يسرق أحد نقودي وباليد الأخرى ما اشتريته من السوق، وحين وصلت منزلنا لم تكن أمي بالبيت، من المؤكد أنها في الحقل وإخواني في المدرسة، فرحت لأنني نجوت من أسئلة أمي التي قد توصلني للاعتراف بكل ما حدث.

وجدت المفتاح في النافذة فتحت الباب وخبئت البذلة والنقود في مكان لا يخطر على بال أمي وبقيت ألعب بالكرة حتى عادت أمي.

الغريب أنها لم تسألني عن شيء فلم يخطر ببالها أنني لم أذهب ولم يكن لدي أي شعور بالذنب.

بقيت أبحث عن كذبة جديدة أبرر بها حصولي على البذلة والنقود وحين أعياني التفكير قررت أن أعترف لأمي بما حدث وليكن ما يكون.

اقتربت من أمي فقرأت على وجهي التردد وأنني أخفي عنها أشياء:

–مالك؟ ماذا فعلت؟

–أريد أن أعترف لك بكل صراحة.

–قل ماذا حدث؟

اعترفت لأمي بكل ما حدث لكنها لم تصدقني، أخرجت البذلة والنقود ورغم رؤيتها للدليل إلا أنها لم تصدقني، سلمتها النقود ولبست البذلة وأمي لم تصدقني، مرت أسابيع ثم أشهر، تمزقت الكرة وصارت البذلة بالية وأمي لم تصدق ما قلته.

مرت أعوام، مات الشيخ صديق والدي فتذكرت ما حدث وسألت أمي:

–لماذا لم تصدقي أنني لم أذهب إلى الولي بالسمن والعسل؟!

وصعقني جوابها:

–لأن من يسرق نذر الولي يحوله إلى خروف لكنك ما زلت ولد.!!

حقيبة مروان

منذ أثمرت شجرة التين الشوكي التي بجوار منزلنا وأنا أحاول الوصول إلى ثمارها قبل غيري من الكبار القادرين على الوصول إليها دون الحاجة إلى من يرفعهم من الأرض مثلي.

تزداد ثمار التين اصفرارا ونضوجا ويزداد قلقي أن يسبقني غيري إليها، وبعد طول تفكير ركبت الحمار لأصل إليها، ما إن بدأت أقطف ثمارها حتى وصل أخي يجري ويصيح فرحًا:

–ابن عبد الله علوان مات

ألقيت بثمار التين وقفزت من فوق الحمار، جرينا وأخي حفاة نحو منزل عبد الله علوان في القرية المجاورة فيما أمي تصرخ خلفنا:

–أرجعوا يا " مفضوحين " الله يهديكم.

لم نلتفت لنداء أمي فقد كنا نتخيل أنفسنا في الملابس والأحذية الجديدة والمكسرات والحلوى والكعك الذي سيوزع صدقة على روح الطفل.

ندوس الأشواك والأحجار، نجري ونلهث، العرق يتصبب من وجوهنا ونحن نسابق الأطفال الذين بدأوا يتقاطرون من مختلف القرى ليشكلوا تجمعا كبيرا أمام منزل عبد الله علوان.

منذ عامين ونحن نحسد هذا الطفل المدلل نجل أكبر تاجر في المنطقة، نصوب على ملابسه وحقيبته المدرسية وأقلامه ونقوده سهام عيوننا وها هو يموت ونتجمع لنيل نصيبنا من الصدقات التي ستوزع على روحه.

اخترقت وأخي صفوف الأطفال الذين تجمعوا أمام المنزل وعند الباب كادت امرأة أن تمنعنا من الدخول لولا أن أشارت عليها أم الطفل بإدخالنا لتقودنا إلى المخزن المكتظ بكل المواد الغذائية والملابس، خلعنا ملابسنا واخترنا أجمل الملابس الجديدة، ومن خزانة الطفل أخترنا الأحذية اللامعة.

استملنا نصيبنا من الكعك والحلوى، دهنوا رؤوسنا ومشطوا شعرنا، كنا في عيد، بقينا نلعب ونمرح، لا نبالي ببكاء النساء وصراخهن وكأننا في عالم آخر.!

غادرت بعد أن قنعت بما لدي من ملابس وكعك وحلوى، في منتصف الطريق تذكرت حقيبة الطفل المدرسية التي بقيت لعامين أتمنى الحصول على واحدة مثلها، وحينها عدت مسرعا إلى منزل عبد الله علوان، بحثت عن غرفة الطفل حتى اهتديت إليها، لكنها كانت مغلقة، تبخر حلمي وشعرت بحزن كبير وغادرت على أن أعود في اليوم التالي إلى منزل الطفل للحصول على الحقيبة.

في منتصف الطريق غيرت رأيي وقررت العودة والحصول على الحقيبة الآن قبل أن يسبقني إليها طفل آخر.

الغرفة لا زالت مغلقة، داهمتني الحيرة كيف أفعل لأصل إليها فقد صممت على نيل حقيبة الطفل مروان بأي وسيلة؟!

قررت الذهاب إلى والدة الطفل وطلب الحقيبة منها، بحثت عنها في غرف النساء القادمات للعزاء حتى وجدتها تقدمت إليها وصافحتها وأجهشت بالبكاء فضمتني إلى صدرها ومسحت على رأسي قائلة:

–تبكي على مروان زميلك بالمدرسة؟

قلت لها بكل صراحة:

–لا أبكي عليه أريد حقيبة مروان والأقلام والدفاتر

ضجت النساء بالضحك ولا أدري كيف طلعت أمي من وسطهن وسحبتني من أذني كخروف إلى خارج إلى المنزل وهي تهددني وتتوعدني بالضرب المبرح:

-بعيني لما نروح البيت يا قليل الأدب فضحتني الله يفضحك.

عادت أمي إلى النساء وفي أذني طنين، شعرت بأن الدنيا تدور أمامي وداهمني صداع وألم شديد في أذني.

رغم الألم الشديد ووعيد أمي وتهديدها قررت أن لا أستسلم فهذه الحقيبة هي حلمي منذ عامين.

صعدت إلى مكان الرجال، كان مكتظا على آخره بالمعزين، اقتحمت المجلس ألقيت عليهم السلام وصافحتهم جميعا ثم ذهبت إلى عبد الله علوان وقفت أمامه هممت أن أطلب منه الحقيبة ولكنني لم أستطع، أحسست بالخجل أمام الحضور، ثقلت لساني وارتبكت، ووجدتني أجهش بالبكاء فأجلسني إلى جواره ودس في جيبي مائة ريال وقال للحضور:

-هذا زميل مروان في المدرسة لم يتحمل فراقه.

قالها وأجهش بالبكاء وبكى من في المجلس وترحموا على الطفل.

وبدأ الناس يثنون علي:

–الطفل هذا وفي يحب زميله المرحوم.

–هذا ليس كبقية الأطفال الذين يلعبون في الخارج.

–ليت كل الأطفال يكونوا مثله.

–طفل ذكي جاء إلى والد زميله ليعزيه.

ولا أدرى كيف وقفت أمام الجميع وقلت:

–أنا لا أبكي على مروان

صدم الجميع بحديثي وصمت كل من في المجلس وصوبوا نظراتهم إلي.

وبكل براءة قلت:

–أريد حقيبة مروان وأقلامه والدفاتر

انهار عبد الله علوان ضاحكا وضحك كل من في المجلس.

وفوجئت بعبد الله علوان يقول لي:

–هات حقي المائة ريال.

وأضاف وهو يضحك ويمسح دموعه:

-ظننت أنك تبكي حزنا على ولدي وأنت تريد حقيبته.!

فوجئت بطلبه الذي أحزنني، مكرها مددت يدي إلى جيبي أخرجت المائة ريال وقلبي يأكله الغيظ لخسارة النقود مددت يدي إليه بالنقود لكنه فأجاني بأن أعادها إلي قائلا:

-أنا أمزح عليك، الله يهديك ويصلحك.

سلمني حقيبة مروان بما فيها فغادرت إلى منزلنا وأنا أكاد أطير من الفرح، من بعيد لمحت أمي تنتظرني بعصا غليظة وتتوعد:

-فضحني والله ما تفوت له.

هربت إلى منزل عمي يغمرني الفرح بموت مروان وحصولي على حقيبته.!

ليلة عصيبة!

فوجئت بعد تناولي للعشاء بأن والدي يأمرني بالذهاب إلى المزرعة لحراسة حقل القات.!

اجتاحني الخوف، تلعثمت وأصفر لوني، ولم أستطع النطق، جمدت في مكاني، بعد لحظات نظرت إلى أمي فوجدتها هي الأخرى قد صدمتها المفاجأة ولم تتكلم.!

كنت صغيرا ولا أرى في الليل خارج بيتنا إلا الوحوش والأشباح، ولكن أمر الوالد كان حكما لا استئناف له.

قال الوالد بصرامة:

–ستذهب أنت وأخوك..

وأضاف:

–أنتم رجال والرجال لا تخاف.

سلم كل واحد منا بطانية وقنينة كبيرة من الماء ولأني الأكبر فقد سلمني البندق الكلاشينكوف وأوصاني بأن لا أطلق النار إلا عند الضرورة القصوى.

عندما تسلمت البندق هبطت عليّ شجاعة عجيبة وتلاشت الكثير من مخاوفي وشعرت بأنني أصبحت رجلا.

خرجنا من المنزل فلحقتنا أمي بكيس فيه بعض الخبز والجبن وظلت تراقبنا ونحن نمضي وتدعو لنا.

لحسن الحظ فالقمر كان بدرا والضياء يغمر المكان.

في الطريق كنت أمشي صامتا يتبعني أخي الذي أقسم أنه سيمضغ القات لأول مرة متسائلا:

-كيف نحرس القات ولا نمضغه؟!

في التل الذي يعلو حقل القات غرفة صغيرة بناها الحارس وعلى سطحها فرشنا البطانيات وجلبنا أحجارا جعلناها مداكي لنا ثم نزلنا للحقل نقطف أوراق القات لنمضغه كي نسهر ولا ننام.

قطف كل منا حزمة له وغسلناها وبدأنا نمضغ القات ونتحدث.

منذ سنوات كنت أتمنى أن أحمل البندق الجديد وأتباهى به أمام الناس وأن تراني البنات وأنا لابس الجمبية[1] والبندق ولكنني الآن أحمل البندق ليلًا حيث لا يراني أحد.!

غاب القمر خلف سحاب كثيف فغمر المكان ظلام مخيف لكن وجود السلاح بجواري ونشوة القات جعلتني أشعر ببعض الأمان.

الهدوء يعم المكان سوى من نباح كلب من بعيد أو صياح طائر بين الحين والآخر، نوافذ القرية التي يشع منها الضوء بدأت تنطفئ واحدة تلو أخرى.

أخبرت أخي بما سأفعله عندما أكبر، سأبني مزرعة دجاج كبيرة بطول 5 كيلو تنتج كل يوم عشرة ألف فرخة وقاطعني أخي:

-10 ألف فرخة من سيأكلها؟!

-سنوزع الدجاج بسيارات على كل القرى والمناطق.

وسأبني مزرعة للخراف نبيع كل يوم منها ألف خروف، وقاطعني أخي مجددًا:

[1] الجمبية: خنجر يلبس في الخصر في اليمن وسلطنة عمان وبعض الدول.

–ألف خروف من سيذبحها؟!

–سنوزع على كل الأسواق والجزارين في المحافظة.

بدأ ضوء القمر يتسلل من بين السحاب فرأينا عشرات اللصوص وقد وقفوا في حقل القات وتساءلنا وقد صدمتنا المفاجأة:

–يا ساتر أين ذهب القات؟!

–هل قطفوه وسرقوه كله بهذه السرعة؟!

–ولماذا عادوا ليقفوا بالحقل؟!

غلي الدم في عروقي فحملت البندق ونزلت إلى جوار الحقل وعندما وصلت تذكرت وصية الوالد ألا أطلق النار إلا عند الضرورة ولذا بدأت أهددهم:

–سأعد إلى عشرة وإذا لم تتركوا القات وترحلوا فورا فسوف تكون نهايتكم.

10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

أنهيت العدَّ، ولكنهم بقوا في أماكنهم كأنهم يتحدوني.!

قلت محذرا:

–تذكروا أنكم جئتم بأرجلكم إلى هنا لتسرقوا القات ولذا لا تلوموني إن قتلتكم كلكم.

حذرتهم، ولكنهم أصروا على تحديهم ووقاحتهم.!

أنذرتهم من جديد:

–أنتم تسخرون مني وتظنون أني صغير ولن افعل شيئا ولكني الآن رجلا ومعي بندقي ولن أرحمكم.

قررت وأخي محاصرتهم بصمت وحذر حتى الصباح ليشهد كل الناس على وقاحتهم، ومضت الساعات وهم على وقفتهم الغريبة وتحديهم.!

وقبيل الفجر سألت أخي مستغربًا:

–ما هذه الوقاحة التي في هؤلاء اللصوص؟!

–لماذا لم يتركوا حزم القات ويهربون؟!

–لماذا يصرون على الوقوف والسخرية منا؟!

غضب أخي وقام يرشقهم بالحجارة قائلًا:

–يظنون أننا صغار ولن نجرؤ على إطلاق النار.

وحينها نفذ صبري ففتحت الأمان وأطلقت الرصاص الحي على كل اللصوص الذين يقفون في الحقل.!

شقت أصوات الرصاص سكون القرية ودوت في كل الأرجاء فصاح الوالد من المنزل وسمعت صراخ أمي وصاح الناس من كل مكان يتساءلون عما حدث.

كان ضوء الفجر قد بدأ يشع، ونحن ما نزال نحاصر اللصوص الذين ظلوا يقفون بكل تحدي رغم الرصاص الذي أطلقته عليهم.!

بدأ الضوء النهار يشع أكثر ووصل الناس إلينا فنزلنا جميعا إلى الحقل لنحصي عدد القتلى والجرحى فلم نجد سوى الأشجار واقفة.!

طفل الحرب

في 13 مارس آذار 2015م ولد طفلي ليث وبعد 13 يوما من ولادته وبالتحديد في 26 مارس آذار 2015 أطلق التحالف بقيادة السعودية عملياته العسكرية في اليمن تحت مسمى "عاصفة الحزم" ليبدأ ليث معنا رحلة السنوات العجاف من الخوف والرعب والقصف والنزوح والتشرد.

مع دوي انفجار أول صاروخ سقط بالقرب من حينا أهتز المنزل وسقطت بعض النوافذ وصرخ ليث فزعا فحملناه على عجل ونحن نتعثر ونجري ونصرخ وكأن القيامة قد قامت للتو، كانت الزوجة لا تزال مريضة بعد العملية القيصرية التي أجريت لها لكننا هرعنا مع بقية السكان إلى بدروم العمارة المليء بالأثاث المهمل والذي يعلوه التراب وتسرح تحته القوارض، انتحينا نحن الرجال جانبا وبقيت النساء والأطفال في الجانب الآخر، كان الصراخ من كل جانب واختلط بكاء النساء مع صراخ الأطفال وصيحات الكبار، كنا نحاول تهدئة الأطفال ونطمئن بعضنا بأن ما يحدث هو قصف خاطف على المطار

والمعسكرات بصنعاء وسيتوقف، بعد هدوء القصف عدنا إلى الشقة وما كدنا نصل حتى عاودت مقاتلات التحالف القصف فعدنا إلى البدروم مرة أخرى.!

وبقينا على هذا الحال أسابيع وأشهر في جو من الرعب، يصحو الطفل فزعا ويظل يصرخ، لقد أصيب بصدمة ورعب أثر على صحته ولم يستطع النطق حتى الآن، ما يزال يتأتأ ببعض الكلمات كما أصيب بقصور ذهني بسبب الفزع.

نزحنا من المنزل الكائن في حي النهضة قرب الفرقة الأولى مدرع بصنعاء إلى حي عصر، فررنا من قصف الفرقة إلى قصف جبل عطان الذي ظل هدف ثابتا لمقاتلات التحالف لسنوات، ليث وأمه وأخته ذات الست السنوات حينها أصيبوا بنوبات فزع وتشنج مستمرة، كانوا ينامون لدقائق فقط ويصحون من الفزع وكنت أقضي وقتي ساهرا أهدئ من روعهم وأعطيهم أقراص الدواء المنوم ولم أعد أتذكر: متى كنت أنام؟!

ولأن الشقة التي كنا نستأجرها في حي النهضة قد تطايرت نوافذها بسبب القصف المتواصل على معسكر الفرقة المجاور فصارت الرياح تعصف فيها وتُزوبع في غرفها فقد تركناها وغادرنا إلى منزل أحد الأقارب بحي عصر والذي كان مسافرا خارج اليمن، تركنا أثاثنا للأقدار

فلا حارس سوى رب العالمين، لم نكن ندري متى سنعود وكيف سيكون الحال في الغد وإلى أين سنمضي؟!

ومضت الأيام وليث ما يزال عاجزا عن النطق ومصابا بالقصور الذهني كما أصبت أنا بمرض السكري بسبب الرعب والخوف، حيث عاينت الموت مرات عديدة، بحثنا عن طبيب لعلاج ليث ولكننا لم نجد سوى عبارة " ننصحكم بالسفر إلى الخارج " ومع هذا بقينا في صنعاء بين الخوف والرعب وتحت القصف من 26 مارس آذار 2015 إلى 26 أبريل نيسان 2018 حيث غادرنا صنعاء إلى مصر للعلاج وبعد رحلة طويلة وشاقة من صنعاء إلى مدينة سيئون بحضرموت وبعد انتظار لأسابيع فيها تمكنا من السفر إلى القاهرة.

في صنعاء كان كل من يلقاني ينصحني بالسفر فكوني أعمل في الصحافة فهذا يعني أنني في خطر وعرضة للاختطاف من قبل الحوثيين لكنني قررت البقاء رغم الخطر، خطر القصف العشوائي الأعمى لمقاتلات التحالف وخطر الاعتقال بسبب وشاية رغم أني قد توقفت عن الكتابة، كنت قد قررت البقاء بصنعاء ولكن عندما تدهورت صحتي بشكل كبير اضطررنا للسفر.

ثلاث سنوات في صنعاء لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم بعمق ولم أعش يوما بطمأنينة، كان خوفي من القصف أكثر من خوفي من الاختطاف وكان حال الطفل ليث قد أضاف لي هما آخر إلى همومي الكثيرة، أشتعل الرأس شيبا وأحسست أنني قد دلفت إلى مرحلة الشيخوخة خلال سنوات!

ليث طفل الحرب الذي عانى الكثير وفقد قدرته على النطق وتعرض معنا للمعاناة والخوف والنزوح والتشرد، ولكني أعزي نفسي بأن طفلي أفضل حالا من ملايين من أطفال كثيرون قتلوا بالقصف وبالخوف والمرض وبرصاص الأطراف المتحاربة في مناطق عديدة، أطفال أصيبوا بجروح وآخرون فقدوا أطرافهم وغيرهم فقدوا عائلهم وتشردوا وتوقفوا عن التعليم وزج بهم في جبهات القتال، لقد رضعوا المآسي والمعاناة ودفعوا ثمن الحرب التي يتاجر بها الكبار.

في القاهرة ذهبنا إلى طبيب متخصص في التخاطب والقصور الذهني، كنا نسافر من حي الفيصل إلى مدينة مصر الجديدة كل يوم لكي يتلقى ليث دورس في التخاطب وتقوية الذهن، نصرف يوميا ما يقارب 400 جنيه تكاليف المواصلات فقط وقد كانت في تلك الأيام بحوالي (15 ألف ريال يمني) هذا غير تكاليف الجلسات وخلافه، بعد 20 يوما

اضطررنا للتوقف بعد أن أرهقنا ماليا ولم يعد علاج ليث يمثل لنا أولوية.!

فررنا من الخوف والرعب والقصف إلى الغربة، والغربة حرق للعمر، جربناها لسنوات ووجدناها أمر من العلقم حتى لو كانت الأسرة كلها معا فقد بقينا في غربة وظلت في قلوبنا وحشة وفي حياتنا أشياء ناقصة وظل فينا شيئا من الذل والانكسار والشوق لليمن بكل ما فيه.

أسأل ليث: ماذا تتمنى أن تكون عندما تكبر؟ فيحدق في ببراءة دون جواب فتتداعى في قلبي جدران كثيرة من الأحلام والطموحات وأشعر أن شراييني وأوردتي تتمزق حزنا على طفلي الذي يدفع ثمن الحرب التي لم يكن له ذنبا فيها.

تمنيت أن يكون ليث كبقية الأطفال يعيش حياته بشكل سوي يلعب ويمرح ويتحدث ثم يدخل الروضة والمدرسة ويعيش حياته كبقية الأطفال ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه.

قبل أكثر من عام تم ترحيلي من مصر بسبب كتاباتي الناقدة للإمارات والسعودية لنعود إلى اليمن، عاد ليث وأمه إلى صنعاء وبقيت في حضرموت، حاولت أم ليث إلحاقه في رياض إحدى المدارس الأهلية

فهو يحتاج رعاية واهتمام من نوع خاص ولكنها رغم كل الجهود لم تجد له مكانا فكل المقاعد مليئة.

عادت الأسرة إلى صنعاء وبقيت في وادي حضرموت أتجول بين المدن والفنادق ومنازل الزملاء من الإعلاميين، أعيش الغربة في وادي حضرموت، ويعيش ليث الغربة في صنعاء، تخبرني أمه أن يحدق في صورتي ويقول: بابا ويجهش بالبكاء، فتعود جدران القلب للتداعي وأردد وأنا أذرف دموعي: وأنا اشتقت إليك يا ابن الذين تشردوا.

سيئون 1/ 4 / 2020

لا مستقبل للأذكياء!

ذات مساء وأنا لم أكمل من عمري ست سنوات كنت على موعد مع فرحة طفولية غامرة فقد أشترى لي والدي بذلة جديدة وحقيبة مدرسية جميلة وفيها الأقلام والدفاتر وعلبة الألوان لأتخذ طريقي في صباح اليوم التالي إلى المدرسة سربا مع إخواني وأبناء عمي ولكن يا فرحة ما تمت لقد رأيت ما أفزعني وأثار الذعر والخوف في نفسي وجعلني أفر منها هاربًا..

كان المدرس الوحيد في المدرسة من السودان ذو قامة طويلة وبشكل خرافي أسود اللون كأنه قد من فحم وكأن رأسه زبيبة ولم أكن قد رأيت شخصا من السودان قبل ذلك اليوم وما إن وقعت عيني عليه حتى صرخت بأعلى صوتي ووليت هاربا من الجني الذي رأيته وحاول كل من في البيت إعادتي إلى المدرسة ولكن دون جدوى فقد كان الأستاذ حاتم السوداني ذو القلب الأبيض الطيب يمثل لطفل في عمري كابوس

حقيقي.. (أنا هنا لا أسخر من خلق الله ولكن أروي ما حدث لي يومها ومشاعري حينها بكل عفوية وصدق).

واهتدى الأستاذ الطيب لحيلة قربتني منه فقد كان يزورنا في البيت ويقدم لي مختلف الهدايا حتى زال خوفي منه وعدت للمدرسة وأحببته بعدها ولكني كرهت المدرسة والدراسة، كنا يومها عشرات الأطفال محشورين في فصل قديم ومتهالك كأننا الفئران المذعورة نسجن ساعات ونتعذب حتى يأذن لنا الأستاذ بالانصراف فنتدافع كالسيل يدوس بعضنا بعضا ونخرج نجري ونصيح كالمعتوهين.

كانت الدراسة تعذيب في تعذيب وملل ورتابة مقرفة ومدرس وحيد لمدرسة كاملة واللغز الذي ما يزال يحيرني إلى اليوم: كيف نجحت في تلك السنة؟!

في العام التالي رزقني الله بمدرس مصري ما إن رآني حتى سقط قلبه من الدهشة وصاح في: أنت محمد؟!

وانكب يقبلني وهو يبكي وسط ذهول الطلاب ودهشتهم مما يجري واكتشفت بعدها أنني أشبه ابن الأستاذ تماما لقد أرانا صورته فكنا كما قال "فولة وانقسمت نصين" وسعدت في ذلك العام والذي يليه سعادة

لا أنساها فقد كان يغدق عليّ بالنعم ويدللني فكنت في الفصل وفي المدرسة سلطان زماني الآمر الناهي وأحببت الدراسة ونجحت بالترتيب الثاني عن جدارة.

أتذكر انه كان في فصلنا طالب غبي جدا وكنا نتندر من غبائه فقد قال له الأستاذ في حصة اللغة العربية:

–هات لي مثال يدل ظرف مكان؟

ولما لم يستطع الإجابة حاول المدرس تبسيط السؤال فقال له:

–مثلا " غرد العصفور فوق الشجرة " الشجرة ظرف مكان.. وأريد منك مثال آخر يدل على ظرف المكان وبعد تفكير وتردد قال:

–غرد الحمار فوق الشجرة.

فضحكنا جميعا ولقبناه بالحمار وكان في أيام الامتحانات يخرج من منزلهم حتى المدرسة وهو "يجعر" باكيا بطول صوته لأنه يدرك أن أبوه إن رسب سيضربه ضربا مبرحا وسيعلقه على الشجرة التي أمام بيتهم، وقد أدركتني شفقة ورحمة عليه فأبرمت معه صفقة رابحة للطرفين وهي: أن أعطيه دروس تقوية وأشرح له وأساعده حتى ينجح وما إن يستلم شهادته حتى أستلم أنا الدراجة الجديدة الذي أشتراها له والده فوافق.

ومن حسن حظي أنه نجح وأوفى بوعده وسلمني الدراجة الجديدة.

الطريف أنه كان كلما أراد الحصول على نقود ذهب إلى جدته وقال لها:
–أنا أدرس وسأتخرج طيارا وأحتاج لمصاريف فتقول:

–سمعني مما درسته من العلم؟

فيقول لها:

–مربع فاضي زايد مربع فاضي يساوي مربع فاضي.

وحينها تصيح الجدة الطيبة بفرح وهي تعطيه المصروف وتدعو له:

–الله يفتح عليك يا ولدي، الله يفصح لسانك.

واستمر يدرس معنا حتى صار في المرحلة الإعدادية فكان ينام في الفصل ويشخر ولم يحمه أبوه الثري من المدرس الذي كان يضربه كل يوم وذات يوم سألنا المدرس واحدا واحدا: ما هي أمنيتك في الحياة؟!

فقال ذلك الطالب الآية في الغباء بكل برود:

–أنا أمنيتي أكون طيار فضحكنا جميعنا وعاد هو للنوم.

الغريب والعجيب أن أذكى طالبا في فصلنا حينها صار اليوم عاملا في بقالة وأصبح أغبى طالب طيارًا بالفعل ورأيته قبل سنوات فلم أعرفه وعرفني هو وذكرني بتلك الأيام وبشرني بأنه قد حقق أمنيته فقلت له مصعوقا:

-كيف صرت طيار؟!

فقال لي كلمة بليغة وتلخص الواقع:

-شوف يا محمد كل شيء في هذا البلد ممكن ومعقول طالما أنت تاجر أو مسئول أو شيخ كبير.

كابوس طويل

صحوت من نومي مذعورا بعد أن تلقيت على وجهي وخزة عنيفة بإبرة حادة لاكتشف أن ضرسي هو من أطلق تلك الوخزة المؤلمة، نظرت في الساعة فوجدتها الثانية بعد منتصف الليل، ثم نظرت في المرآة فوجدت وجهي متورم والعرق يتصبب منه.

قبل فترة وجيزة ذهبت لطبيب الأسنان فقام بسحب العصب من الضرس وتنظيفه وحشوه حشوة مؤقتة وحدد لي موعدا لأعود إليه ولكني شغلت وتساهلت بالأمر ولأنني مصاب بالسكري فقد تآكلت الحشوة المؤقتة بشكل سريع دون أن أشعر وانكشف العصب، لتبدأ طقوس العذاب المرعبة.

الآن بعد منتصف الليل والصيدليات والعيادات مغلقة والبرد شديد فأين أذهب لأضع حدا لهذا الألم المرعب؟!

لجأت للمهدئات فلم تنفع، تمضمضت بماء دافئ وملح فلم يهدأ الألم، قمت بوضع زر "قرنفل" مكان الوجع فلم ينفع الأمر، حاولت بشتى السبل والوسائل ولكن الألم أزداد ضراوة فصرت أتلوى وأصرخ بصوت أيقظ كل من في المنزل.

كأن دماغي يغلي من شدة الألم، نسيت حينها كل خططي وكل ما فكرت بقراءته أو كتابته وصار كل همي كيف أتخلص من هذه الآلام المرعبة والأوجاع الفظيعة التي لم أعشها من قبل.

أنظر إلى الساعة فأجدها تمضي بخطى بطيئة ثقيلة وكأنها تعاندني وتتعمد المشي بتثاقل غريب.!

كم مرت عليّ من السنوات والدهور وأنا أتلوى من شدة الألم؟

لست أذكر لكن الصباح أشرق أخيرا فهرعت إلى طبيب الأسنان فوجدت العيادة مغلقة فانتظرت بالباب ردحا من الزمن قدرته من شدة الألم ببضع سنوات حتى جاء الطبيب يتثاءب ويمشي بتثاقل هو الآخر، فتح العيادة فأسرعت أتمدد على كرسي العلاج، وحين فحص الطبيب الضرس ظننت أنني قد تخلصت أخيرا من أوجاعي ولكنه أخبرني أنه لا بد أن أتناول مضاد حيوي ومطهر للبكتيريا لأن العصب قد انكشف

وصار موطن للبكتيريا وكتب لي مهدئات، رجوته أن يوقف آلامي بأي طريقة ولو يحشو الضرس أو يسحب العصب من جديد وسأدفع كل ما يطلب ولكنه حذرني من خطورة عمل كهذا على القلب والكلى وأكد لي ضرورة أن أستخدم العلاج لمدة خمسة أيام على الأقل ونصحني بالصبر.

يا الله.. لقد مرت عليّ سنوات عجاف من الثلث الأخير من الليلة الماضية إلى الصباح فكم سيمر علي في الخمسة الأيام القادمة بنهارهن ولياليهن من سنوات من العذاب الأليم؟!

أخذت الزوجة والأطفال إلى منزل عمي ثم عدت إلى المنزل لأبقى فيه وحيدا أيام العذاب، لقد خشيت أن تتعرض الزوجة أو الأطفال لمكروه أثناء تلك الآلام المخيفة، قد أفقد أعصابي وأهجم عليهم خاصة وأنني قد حطمت بعض أثاث البيت من شدة الألم.!

يهدأ الألم قليلا فأغفو ويشتد فأصحو لأجد الكابوس أمامي، أنظر لوجهي في المرآة فأجد شخص آخر أشعث أغبر ممصوص الوجه كأنه قد عاد لتوه من المقبرة.!

مشيت على خط النار المشتعلة وقذفت بنفسي في فوهة بركان الألم وخضت الصراع المرير مع الوحوش الضارية، حاربت الآلام نيابة عن العالم في أطول خمسة أيام في تاريخ البشر وبعد دهورا ثقيلة من العذاب والصراع المتواصل رغم استخدامي للمهدئات والعلاج انتهت الخمسة الأيام وذهبت لطبيب الأسنان فوجدت العيادة مزدحمة بشكل لم أتصوره فأعتذر لي الطبيب وطلب مني العودة في اليوم التالي وطالبني بالصبر، كدت أفقد أعصابي وأهاجمه ولكني تماسكت وتجلدت، أخبرته عن آلامي فرد علي بأنها عشية وضحاها وتنتهي الآلام ولم يدر حينها أنه قد وضعني تحت التعذيب لمدة قرن إضافي.

وخضت من جديد الصراع المرير مع الآلام ومع عقارب الساعة التي تزداد عنادا لي فتخرج لي لسانها ساخرة وتصر على أن تمضي ببطء قاتل، خضت ذلك الصراع مجددا حتى انتصرت ومضت تلك الليلة السوداء وذهبت للطبيب أخيرا، كنت قد قررت الاشتباك معه أن رفض علاجي فلم اعد أحتمل حتى ساعة واحدة من العذاب ولكن كأن الطبيب قرأ نواياي فأسرع ينظف لي قنوات العصب ثم قام بسحب العصب وحشو الضرس من جديد، تألمت لمدة ساعة آلام رهيبة يصعب وصفها، بعدها عدت مسرعا إلى منزلي وارتميت في فراشي لأذهب في

نوم عميق، نوم بلا كوابيس لأصحو بعد ساعات على دنيا جديدة بلا آلام.

ذهبت إلى منزل عمي ودعوت الزوجة والأطفال إلى العشاء في مطعم فاخر ثم اشتريت لهم الهدايا وعدنا إلى المنزل بعد أن أنزاح الكابوس الطويل، لقد ولدت من جديد وشعرت بقيمة العافية وعواقب الإهمال.

خبر وفاتي!

صحوت متأخرا وحين فتحت هاتفي فوجئت بأكثر من 300 اتصال وعشرات الرسائل، بعض الزملاء قد اتصل بي عشر مرات وبعضهم خمس مرات وبعضهم ثلاث مرات واتصالات كثيرة من أرقام مجهولة ومن أرقام دولية، ترى ما الذي حدث؟!

وتساءلت:

–يا الله ما الذي حدث؟

–هل عينت وزيرا؟

–هل فزت بجائزة دولية؟

–هل جرى لأحد أقاربي مكروه؟

كنت أتساءل وأنا أفتح الرسائل فإذا فيها:

–طمأنونا على الأستاذ أرجوكم.

–يا رب ما يكون الخبر صحيح.

–أسرة محمد العمراني نرجو الرد للأهمية.

لم أكمل قراءة الرسائل فقد أتصل بي زميل العزيز عليّ وحين سمع صوتي تنهد وحمد الله على سلامتي فأخبرته أنني صحوت للتو ولا أعلم ما حدث فقال:

–سلامات يا أستاذ، الحمد لله على سلامتك والحمد لله أنني سمعت صوتك وأنك بخير

أجبته وأنا مرتبك فأنا لم أفهم شيئا بعد:

–الله يسلمك، ما الذي حدث؟

–الحمد لله أن الذي حدث هو لبس فقط، لقد توفي الدكتور محمد العمراني الأستاذ بجامعة صنعاء رحمه الله، توفي بكورونا فنشر أحد المواقع الإخبارية المعروفة الخبر ووضع صورتك وليس صورة الدكتور العمراني وهو ما سبب لبس لدى الناس.

وأضاف:

–حتى أنا أول ما شفت صورتك سقط قلبي من الخوف ولم أكمل قراءة الخبر واتصلت بك فورا لأطمئن عليك لكنك لم ترد ما زاد من قلقي عليك وعموما الحمد لله على سلامتك.

أسرعت اتصل برئيس تحرير الموقع فهو زميلي وعملنا سويا قبل سنوات وقد فوجئت أنه حدثني بشكل عادي ويسألني عن صحتي وحين سألته بغضب:

–ماذا عملتم بي؟

أجابني ببرود:

–ولا شيء ما الذي حدث؟!

فوضحت له أن الموقع نشر خبر وفاتي وأنا بخير فرد باستغراب:

–لا لا مش معقول هذا الكلام.

وأضاف:

–أنا لي ساعات بالمستشفى، زوجتي بحالة ولادة ولم أتابع ما ينشر لكن لحظة أشوف الموقع ونتواصل.

فتحت الفيسبوك ووضحت في منشور أن الذي توفي هو الدكتور محمد العمراني الأستاذ بجامعة صنعاء ولست أنا، ثم أرسلت رسالة جماعية لمن أتواصل معهم بالواتساب وضحت لهم الأمر.

بعد ذلك اتصل بي رئيس التحرير يعتذر:

–يا أستاذ كله من الحمار، أقصد المحرر الجديد وصله خبر وفاة الدكتور محمد العمراني وبحث في جوجل عن صورة له ينشرها مع الخبر ولم يجد إلا صورك فظن أنه أنت فنشر صورتك وأرجو أن تسامحنا.

وأضاف:

–يا أستاذ أنت دائما تكتب أنك مريض وأن السكري ارتفع عندك فالمحرر ألتبس عليه الأمر وظن أنك المتوفي وعموما حصل خير ربنا يحفظك ويبارك بعمرك.

ضحكت وأنا أخبره أنني قد سامحت "الحمار" أقصد المحرر بل إنني أشكره على خطأه لأنه وصلني اتصالات ورسائل ودعوات وكثيرون كتبوا عني منشورات تقطر إشادة بي وبما أكتب، والبعض ندم على تقصيره معي، والبعض أعتذر مني عن إساءات لم أكن أعلم بها، كما

قامت بعض وسائل الإعلام التي تعاونت معها بصرف مستحقاتي المتأخرة لديها.

وتساءلت:

-لماذا لم يفلعوا هذا إلا بعد موتي؟!

الطاقم غير كافي!

تدافع عبد الباري وأولاده إلى خارج خيمتهم في مخيم النازحين بضواحي عدن بعد أن توقفت ثلاث سيارات فارهة أمام الخيمة مباشرة، نزل من السيارات عشرة من الشباب الذي يبدو من حديثهم وملابسهم أنهم من دولة خليجية، أبتسم عبد الباري وهو يمد يده لمصافحتهم غير أنهم نظروا إليه باحتقار ولم يعيروه أدنى اهتمام فماتت البسمة في وجهه وشعر بغصة تتكور في حلقة، أبتلع الإهانة وتركهم عائدا إلى داخل الخيمة بانتظار دعوتهم له ليستلم المساعدات، فيما ظل الأطفال يتحلقون حول السيارات ويرمقونها بنظراتهم الفضولية.

قال رئيس الفريق بتأفف:

–الإعلاميون تأخروا يا جماعة نبي نخلص ونرجع الفندق، الحر ذبحني هنا.!

أقبلت سيارة من بعيد فتهللت وجوههم وصاح رئيس الفريق:

–خلاص نزلوا المساعدات.

أمام باب الخيمة كان كيس دقيق من فئة 25 كيلو وقطمة أرز 5 كيلو وعلبة زيت صغيرة وبضعة علب فاصوليا تستلقي بانتظار التصوير.

وصل الإعلاميون وشرع أحدهم ينصب قاعدة كاميرا التلفزيون فيما استعد البقية لالتقاط الصور إلا أن رئيس الفريق صرخ فيهم:

–إيش تفعلون؟

فأجابوا بدهشة:

–نستعد لتوثيق لحظة تسليم المساعدات للنازحين.

وعاود صراخه فيهم:

–أين بقية الفريق؟

–ذهبوا لتجهيز وإرسال المواد إلى وسائل الإعلام.

أحد الأطفال حمل علبة الزيت ليدخلها إلى الخيمة لكن رئيس الفريق صاح فيه:

–ويش تسوي يا ولد؟! رجع العلبة.

أعاد الطفل علبة الزيت وهو غير مصدق ما يحدث.

قال رئيس الفريق موجها حديثه إلى رفاقه:

–رجعوا المساعدات إلى السيارة، الطاقم الإعلامي غير كافي.!

وواصل حديثه للإعلاميين:

–من الآن وصاعدا لازم تكونوا كلكم جاهزين 15 إعلامي دفعة واحدة لتوثيق أي تسليم للمساعدات حتى لو كانت علبة فول، وقبل التصوير تسلمون المحتاجين صور الشيخ.... يرفعوها وتحفظوهم الكلام اللي يقولون ولازم يدعون للشيخ الله يحفظه ويطول لنا بعمره.

وفي لحظات غادرت السيارات من أمام الخيمة وتكومت أسرة عبد الباري في الداخل على جراحها ومآسيها بينما غادر عبد الباري الخيمة تسيل دموعه حارة رغما عنه وفي داخله يستعر بركان من الأسى والقهر، تمنى عبد الباري أن تنشق الأرض وتبتلعه ولكنه ظل يمشي فوق جمر الرمال الحارقة نحو المجهول لا يدري أين يذهب وإلى أين سيصل؟!

مصير القطب الجديد!

جرني صديقي إليه جرا فهو بحسب زعمه من أهل الله وخاصته وهو بحرا من "العلم اللدني" قد كشف الله له الحجب فصار ينظر بنور الله، كتب الله على يديه شفاء المرضى وقضاء حاجات الناس وتفريج كربهم، قلت لصديقي ونحن في الطريق:

–من هذا الشيخ الذي شوقتني لرؤيته؟!

وبدلا من أن يعرفني به زاد الأمر غموضا وزادني شوقا إليه حين قال:

–ليس من المشهورين لكنه قطب من الأقطاب، من الأخفياء الأنقياء الذين لو أقسموا على الله لأبرهم.

وأضاف:

–هو من أهل الزوايا وأنت تعلم أن في الزوايا خبايا.

لذت بالصمت والتوجس وقلت في نفسي: (من المؤكد أن صديقي يبالغ لكننا لن نخسر شيئا وكلها ساعات وبدلا من جلوسنا أمام التلفاز ومتابعة مباراة برشلونة وريال مدريد سوف نجلس مع هذا الشيخ المبارك لعلنا منه نستفيد).

وصلنا إلى منزله في أقصى المدينة، وجدنا بابه مفتوحا فدخلنا، كان يجلس في رأس المكان يمضغ القات ويدخن المداعة (النرجيلة) ويتصبب عرقا، تقدمنا إليه، صافحته بينما أنحنى صديقي يقبل رأسه ويده ثم سلمه كيس القات فبصق فيه ثم أشار لنا بالجلوس.

المكان ممتلئ بالمريدين، أحدهم يضرب الطبل بقوة فيهز الجميع رؤوسهم ويصيحون:

اعرج بنا يا قطبنا نحو الحبيب

في طيبة حيث الحياة لنا تطيب

الله الله الله الله الله.

شرع صديقي يمضغ القات بشراهة بعد أن نال البركة من بصاق شيخه، وحين بدأ يهز رأسه ويمضي معهم في الذكر كنت قد ركزت بصري نحو

الشيخ المشغول بهاتفه الجديد، يضعه جانبا ثم يكتب في أرواق ثم يعود إليه، ثم يشرد إلى بعيد وكأنه في عالم آخر.

ارتفع أذان العصر من مساجد المدينة وشمس حزيران ما تزال ترسل إلى الأرض أشعتها الحارقة، انتظرت أن يقوم الشيخ ومريديه للصلاة إلا أنهم كانوا ما يزالون في نشيدهم الصاخب، يتصبب العرق من وجوههم وهم يمضغون القات فيما روائح الدخان والبخور تخنق المكان.

خرجت وصاحبي للصلاة، كنت أسعل طوال الطريق إلى الجامع، لقد أصبت بصداع حاد من صوت الطبل ورائحة الدخان والبخور التي تغطي سماء المكان.

بعد الصلاة سألت صديقي:

-لماذا لا يصلون؟!

أبدى استغرابه من سؤالي ثم همس لي:

-أصه لا أحد يسمعك، هؤلاء قد بلغوا مرحلة اليقين وكشفت عنهم الحجب، أرواحهم تطير إلى الحرم المدني تصلي خلف الرسول صلى الله عليه وسلم الفرض ثم يؤدون السنة بالحرم المكي.

قلت مندهشا: وأنت تصدق هذا الكلام؟!

–الشيخ قال هذا.

–وأنت صدقتهم انهم يطيرون إلى مكة والمدينة؟!

–الله على كل شيء قدير.

اعتذرت لصديقي عن العودة إلى مجلس الشيخ لأني قد أصبت بالصداع من الدخان والبخور وصوت الطبل.

عدت إلى منزلي وأنا غير مصدق أن صديقي المثقف اليساري الذي يهاجم العلماء في الصحف ويتهمهم بالرجعية والتخلف قد سلم عقله لهذا الشيخ الغريب وصار من مريديه.!

ومضت أشهر حتى فوجئت وأنا أقلب إحدى الصحف بصورة ذلك الشيخ بجوار خبر " القبض على دجال بعد ضربه فتاة حتى الموت " وأسرعت أقرأ تفاصيل الخبر: (ألقت الأجهزة الأمنية القبض على دجال في جنوب العاصمة بعد قيامه بضرب فتاة حتى الموت بدعوى علاجها من المس الشيطاني...) لم أكمل الخبر اتصلت بصديقي إلا أن هاتفه كان مغلق، وبعد أيام وجدته فأسرعت أسأله عن شيخه فأكد لي أن الشيخ تعرض لمؤامرة وأنه بريء وسوف يخرج من الحجز قريبا.

بعد أسابيع اتصل بي صديقي طالبا أن نلتقي في المقيل وحين سألته عن المكان أجابني في زاوية الشيخ فسألته:

-هل خرج الشيخ؟

-الشيخ يبدو أن قضيته ستطول لكنهم أحرجوني في الجلوس مكانة لإدارة الزاوية حتى يخرج.

اعتذرت لصديقي " القطب الجديد " عن تلبية دعوته بسبب تضايقي من الدخان والبخور وصوت الطبل، ومن يومها وانا أتابع الصحف بانتظار أن أقرأ خبر القبض عليه.!

حزين لنجاحه!

ثلاثة أسابيع عجاف قضيناها في امتحانات الثانوية العامة "الوزاري"، كنا في حالة طوارئ نعود من قاعة الامتحانات إلى المذاكرة من جديد، نحفظ الدروس من جديد ونجري امتحانات تمهيدية في المجلس الذي تم تخصيصه لنا ك–"غرفة عمليات المذاكرة" لا نغادره إلا إلى قاعة الامتحان لنعود إليه من جديد.

كانت كلمة " الوزاري " تصيبنا بالرعب، تمضي أيام الامتحانات ونحن نرتعد خوفا من الرسوب، كأن رسوبنا سيكون فضيحة الدهر ونهاية العالم.!

حتى الطلاب في أرقى جامعات العالم مثل هارفارد وأكسفورد لم يكن لديهم ربع اهتمامنا بالتعليم حينها.!

في آخر أيام امتحانات الثانوية العامة خرجنا من قاعة الامتحان إلى عيد بعد أن أزحنا جبالا جثمت فوق صدورنا طيلة أشهر، لكن بعض الخوف

ما يزال يسكننا بانتظار ظهور النتائج، كان هذا حالنا باستثناء أحمد الذي بدأ الضيق على وجهه ونغص علينا فرحتنا بانتهاء الامتحانات، تنهد وهو ينظر نحو الأفق البعيد وقال:

– يا شباب أنتم تخافون من الرسوب وأنا أخاف أن أنجح!!

صدمنا حديثه والتفتنا إليه باستغراب وقلنا بصوت واحد:

– أنت ماذا تقول؟!

تنهد مجددا وقال:

–يا شباب أنا لو نجحت اقرأوا الفاتحة على التعليم في اليمن وإذا انهار التعليم ستنهار البلاد بعد ذلك.

لم يكن إهماله وتغيبه عن المدرسة لكراهيته للدراسة ولكنه كان بسبب المهمات الكبيرة التي يكلفه بها والده شيخ المنطقة والذي ينظر للتعليم على أنه كلام فاضي لا فائدة منه سوى معرفة القراءة والكتابة والتفاخر بالشهادات التي لا تؤكل عيش.

بقينا ننتظر النتائج بقلق وترقب وعندما ظهرت النتائج تدافعنا كل يبحث عن اسمه في كشوفات الناجحين، وكانت المفاجأة الصاعقة أن

زميلنا أحمد قد نجح وبتفوق كبير جدا ثم حصل بعد ذلك على منحة للدراسة خارج اليمن.!

وحين وجدته وهو يغادر القرية استعدادا للرحيل إلى روسيا لدراسة الطب قال لي:

– الذي خفت منه قد حدث، لقد نجحت وبتفوق وبعدها أعطوني منحة إلى الخارج، لقد انتهى التعليم في اليمن.

لقد كان الوحيد في العالم الذي حزن لنجاحه.!

انتقام بشع!

استيقظ أحمد عبد السلام فوجد أن الفأر قد عضه في قدمه حتى نزف الكثير من الدم، لمح الفأر وهو يفر من تحت الباب فأسرع يضمد جراحه ويوقف النزيف ليبدأ بعدها في مطاردة الفأر من غرفة لأخرى، استيقظ كل من في البيت ليشهد مصير الفأر المعتدي، وحين أنتقل الفأر إلى المطبخ أستيقظ الجيران أيضا فقد قام أحمد عبد السلام أثناء مطاردة الفأر بكسر الكثير من الأطباق والأواني الزجاجية التي أحدث كسرها صوتا أيقظ الجيران.

وأتته الكثير من الفرص لتوجيه ضربة قاتلة للفأر لكنه لم يكن يريد قتل الفأر، كان يريد توجيه ضربة للفأر تفقد توازنه ليلقي القبض عليه حيا، كانت زوجته قد أغلقت عليها باب غرفة النوم وهي ترتجف خوفا فهي لا تكره في الدنيا شيء مثل كراهيتها للفئران.

في الليلة التي قال لها –مازحا– أنه سمع صوت حركة خفيفة تحت السرير في غرفة النوم وأنه يعتقد أن فأرا قد تسلل إلى غرفة نومهم لم يغمض لها جفن حتى مطلع الفجر، وحين استيقظ وجدها منكمشة على نفسها وتقضم أظافر يديها وقد أصفر وجهها خوفا من ظهور الفأر في أية لحظة، حينها لم يصدق ما يحدث، كان قد نسي مزحة الفأر بينما ظلت هي خائفة تترقب هجوم الفأر.

فر الفأر من نافذة صغيرة في المطبخ فلحق به إلى حوش العمارة وهو يمسك بعصا غليظة ويصيح:

–والله لن تفر بعد فعلتك السوداء يا نجس..

–قامت قيامتك يا مجرم..

–لعبت بعداد عمرك يا خبيث.

تجمع العديد من الجيران ظنا منهم أن أحد اللصوص قد هاجم شقة أحمد عبد السلام، البعض منهم بيده مسدس وآخر بيده عصا غليظة وثالث يمسك بحبل ليربط به المجرم ويسلمه للشرطة بينما واصل أحمد عبد السلام مطاردته للفأر.

العرق يتصبب منه، يمسك الفوطة التي تستر نصف جسمه السفلي بيد حتى لا تسقط وفي اليد الأخرى يمسك العصا بينما ينير ولده له الطريق بضوء الهاتف.

تبعه عددا من الجيران وهم في حيرة من أمرهم فهم لم يروا أي شخص يطارده أحمد عبد السلام ولم تدم حيرتهم طويلا إذ لحق أحمد عبد السلام بالفأر قرب بوابة العمارة وضربه بعصاه ضربة أفقدته توازنه فظل يتقلب في مكانه وقد أنهكته الضربة المؤلمة فداس أحمد عبد السلام برجله على ذيل الفأر كي لا يفر من جديد، ألتقط أنفاسه ومسح العرق في وجهه ثم أنحنى وأمسك الفأر بيده وعضه عضة قوية ورماه من جديد وهو يصرخ فيه:

-ألا ترى ما أبشع العض؟!!

شعر أحمد عبد السلام بأنه قد أنتقم لنفسه وثأر لكرامته فترك الفأر يمضي وسط ذهول كل من يشاهده.!

السيرة الأدبية

محمد مصطفى العمراني –قاص وكاتب يمني من مواليد 1979م – محافظة إب، عمل في الصحافة اليمنية منذ العام 2000م، نشر مئات المقالات في الصحافة اليمنية والعربية..

صدر للمؤلف:

1 –عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر –قصص قصيرة.

2 –نحن والحمير في المنعطف الخطير –قصص قصيرة.

3 –من عجائب تنكة بلاد الخرافات –قصص قصيرة.

4 –لصوص لكن مبدعون –قصص قصيرة.

5 –مجنون الفقيه، قصص قصيرة.

6 –توبة غريبة، قصص قصيرة.

7 –كنز غريب وكبش أسود –قصص قصيرة.

8 –الأعجوبة –قصص.

9 –قطوف في اللغة والأدب والتأريخ والفن.

10 –العلامة العمراني رمز التجديد والوسطية، تراجم.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكتروني
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

الإهداء..... 6
مقدمة..... 7
نحن والحمير..... 9
في اللحظة قبل الأخيرة!..... 13
زلة لا تغتفر!..... 20
مرض غريب!..... 24
نهاية العالم!! 33
رضيت بهذا الصمت 38
موت العصفور!..... 42
مخاوف ثور..... 47
بيت تسكنه الخرافة!..... 50
حقيبة مروان..... 57

ليلة عصيبة! 63
طفل الحرب 69
لا مستقبل للأذكياء! 75
كابوس طويل 80
خبر وفاتي! 85
الطاقم غير كافي! 90
مصير القطب الجديد! 93
حزين لنجاحه! 98
انتقام بشع! 101
السيرة الأدبية 105

النجاح الذي حققته هذه المجموعة القصصية في إصدارها الأول أذهل الكثير من القراء، نحن والحمير في المنعطف الخطير لقد فاقت كل التوقعات، لقد نشرت في عشرات المواقع والصحف والمجلات اليمنية والعربية، وتحدثت عنها العديد من الفضائيات العربية، كما نسعى لأن نترجمها للإنجليزية والتركية والفرنسية قريبا بإذن الله.

هذا النجاح ربما للإسقاطات والدلالات التي تحملها قصة "نحن والحمير في المنعطف الخطير"، التي كتبتها عن قصة حقيقية وبكل عفوية وصدق وإيجاز فحققت كل هذا النجاح والتأثير .

القصة أخطر من المقال ألف مرة في دلالاتها وإسقاطاتها وخلودها، فالمقال ينتهي بعد أيام وأسابيع ولكن القصة خالدة تقرأ في كل زمان ومكان ولغة، فيشعر القارئ بالمتعة وتتسلل إلى ذهنه الرسالة التي بذرها الكاتب في القصة بكل سلاسة وتلقائية.

صدر له عن دار بسمة للنشر الإلكتروني:

توبة غريبة

نحن والحمير في المنعطف الخطير

دار بسمة للنشر الإلكتروني

+212 771 814 934
basma24design@gmail.com
bassmabook
www.darbassma.net

تصميم الغلاف